صدق التجربة الشعريّة في شعر مصطفي وهبي التّل "عرار"

أ.د جهاد شاهر المجالي*

تاريخ وصول البحث: 2023/4/19م تاريخ قبول البحث: 2023/6/6م

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تتبع هذا المفهوم في شعر شاعر معاصر، هو مصطفى وهبي التّل "عرار"، الّذي كان شخصاً ملتزماً ذا شخصيّة منتمية ثابتة في سلوكه ومواقفه، بل في حياته عامّة، وهذا ما يتطلّبه صدق التجربة الشعريّة بالضرورة، سواءٌ أكانت هذه التجربة في سياقها الفنّي أو الواقعي. ولسوف أنهج في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، متقصّيًا هذه الظاهرة في تجربة "عرار" الشعريّة في بعض أغراض شعره الأساسيّة، مثل شعره القومي والوطني، وشعره في مجتمع "النَوَر"، الّذي وجد فيه ما عزّ وجوده في مجتمعه، وشعره الغَزَلي الّذي يعكس تجربته مع الجمال، جمال "المرأة"، من ناحية، وجمال "الطبيعة"، طبيعة موطنه "الأردن" الّتي انكفأ على ذاته بين أحضانها، يغمس روحه بروحها.

الكلمات الدالّة: عرار، الأردن، التجربة الشعريّة، الصدق، الالتزام، النَوَر.

The Veracity of the Poetic Experience in the Poetry of Mustafa Wehbe Al-Tall "Arar"

Abstract

This paper aims to trace this concept in the poetry of a contemporary poet, Mustafa Wahbi Al-Tal,"Arar", who was a poet, a committed person with a consistent personality not only in his behavior and attitudes, but in his life in general, and this is what the veracity of the poetic experience really requires, whether it occurs in an artistic or realistic context. In this study, I will apply the descriptive analytical approach.

I set out to investigate this phenomenon in the poetic experience of "Arar" in some of the basic purposes of his poetry, such as his national and patriotic poetry, his poetry that is about the "gypsies" community, in whom he found what was lacking in his society, and his flirting poetry that reflects his experience with beauty , such as the beauty of "woman,", the beauty of "nature," or the nature of his homeland, Jordan, into which he retreated into himself, immersing his soul in its spirit..

Keywords: Arar, Jordan, Poetic experience, Honesty, Commitment, Al- nawar (gypsies).

*أستاذ دكتور، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

تقديم:

لعلّ ما اتّسمت به شخصيّة الشاعر "عرار" من التزام وثبات وجرأة في سلوكه ومواقفه، جعل من شعره مرآة تعكس تجارب حياته المتنوّعة؛ ممّا جعله استثنائيّاً بين الشعراء الّذين كان التباين ظاهرا بين أقوالهم وأفعالهم؛ ولّعمري، فإنّ هذا ما يتطلّبه صدق التجربة الشعريّة بالضرورة، سواءٌ أكانت هذه التجربة في سياقها الفنّي أو الواقعي؛ وقد يكون ذلك ما دفعني إلى تتبع صدى هذه الظاهرة اللافتة في شعر عرار، مركزًا على حضورها في بعض مناحي شعره الأساسيّة، مثل شعره القومي والوطني، وشعره في مجتمع "النَوَر"، وشعره الغَزَلي الّذي يعكس تجربته مع الجمال، جمال "المرأة"، من ناحية، وجمال "الطبيعة"، من ناحية أخرى. ولعل المشكلة الّتي تنهض هذه الدراسة بعبئها، تكمن فيما قد يتوالى على الذهن من أسئلة مُلّحة، تتّصل بمسألة ثبات شخصيّته في مواقفه، والتزامه بما اعتنقه من مبادئ، من ناحية، ومدى الانسجام ما بين شعره ومسلكه من ناحية ثانية. ويتّصل بذلك أيضا، ما كان يوجّهه إليه بعض مناوئيه، من أنّه شخصيّة متناقضة، غايتها إشباع لذّاتها الشخصيّة. ويمكن تلخيص هذه الأسئلة بالتالي:

هل امتلك عرار تلك الطبيعة الفنيّة الّتي توحّد ما بين حياة الشاعر وشعره؟ وهل كان منطوق شعره متطابقا مع أحوال حياته المختلفة، وتفاصيلها المتباينة؟ وهل كان شعره بمجمله يعكس هذا الصدق الفنّي الذي توّج معظم ما جادت به قريحته من شعر؟ وهل كان لما لقيه عرار من عَنَت وملاحقة ونفي وتعذيب، أثر في انحسار مستوى هذا الصدق في تجربته الشعريّة؟ وغيرها من أسئلة قد تفترضها طبيعة هذا الموضوع، في السياق ذاته، فتسعى هذه الدراسة إلى محاولة الإجابة عنها.

أمّا الدراسات السابقة ذات الصلة بهذا الموضوع، فلم أصل إلى أيّة دراسة تحمل فكرة هذه الدراسة، وتُعنى بإطار موضوعها وجوهره، وكل ما سبق من دراسات تركّزت على محاور متباينة في شخصيّة عرار الجدليّة، وقضايا شعره المتنوّعة، الّتي يحيط بها كلّ متخصّص.

وقد اتّبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، متكئًا على مصادر ومراجع، نوجزها في مصادر شعره الأساسيّة، مثل: ديوان شعره بتحقيق زياد الزعبي، الّذي صدر عام1982م، وكتاب يعقوب العودات "عرار شاعر الأردن" الصادر في طبعته الأولى عام 1958م، وكذلك مراجع ودراسات عديدة، قديمة وحديثة، يمكن مراجعتها في قائمة هوامش البحث، مثل ما اشتمل عليه

العدد الخّاص من مجلّة أفكار، رقم (335) لزياد الزعبي، ومحمد القواسمة"، وعمر الكفاوين، وهيا صالح، ودراسات أخرى لإبراهيم خليل، وعلي قاسم الخرابشة، وتركي المغيض، وآخرين.

تمهيد:

إنّ التجربة الشعرية ما هي إلّا إفضاءٌ بما يكتنهه الشاعر في ذاته من خواطر وأفكار عاشها وتعايش معها، فهي معايشة حقيقيّة لإحساس معيّن يتملّك الشاعر أو الأديب فيدفع به إلى الخلق الفنّي، فهي على هذا النحو صياغة فنيّة لتجربة إنسانيّة ناتجة عن معاناة حقيقيّة، والمقصود بصدق التجربة هو أن يكون الأديب قد مرّ فعلاً ولو في عالم الخيال بموقف أثار نفسه وحرّك وجدانه وألهب عاطفته؛ مما يجعل نتاجه الفنّي صدىً لنفسه وصورةً لفكره، فالمعاناة الحقيقيّة هي أصل التجربة الشعريّة؛ لأنّها تعزز الاندماج في الحدث، وتعمق صلة الشاعر بموضوعه وتؤصّل مشاعره وإحساساته.

ويتّضح من خلال هذا التعريف اقتران عنصر الصدق، ونعني به صدق الوجدان، أو الصدق الفنّي، بالتجربة الأدبيّة، فيرتبط الشاعر أو الأديب بهذه التجربة ارتباطاً وجدانيّاً يوحي بمدى تفاعله معها، وتوحده بها عقليّاً وشعوريّاً، فيخلص لهذه التجربة بأن يصوّر ما يجده في نفسه تصويراً صادقاً ينمُّ عن حِدّة الانفعال، وعمق الشعور، واتّساع مداه؛ ممّا يترك أثره وصداه في نفس المتلقّي، فيكون نتاجه الفنّي صدىً لما يمور في نفسه، وتصويراً لمكنون فكره، وليس حذلقةً لغويّة، أو براعةً فكريّة يتشدّق بها كلُّ من تسعفه حيلته على رصف القول وسبك الكَلِمْ واستعراض الحُلى اللفظيّة، الّتي قد تُطرب الآذان ولا تثير الوجدان[1].

إنّ كثيراً من النقّاد ينظرون إلى الصدق من خلال واقعيّة التجربة في حياة الشاعر، وكأنّهم لا يقنعون بما يطلق عليه "الصدق الفنّي"، أي قدرة الشاعر على ملاحظة تجارب الآخرين والتفاعل معها إلى الحد الّذي تدب حَميّاها في نفسه لتصبح همّه وأرقه الّذي يقضُّ مضجعه؛ فيجسدها بصدق من يعانيها ويكتوي بنارها، وهم أيضاً لا يقرون، كما يظهر بالدور الفاعل لمخيّلة الشاعر وقدرته على تقمص التجربة والتفاعل معها بقوّة خياله، ودقّة مسلكه، وسَعة حيلته، فيصورها لنا تصويراً نكاد نراه بأعيننا ونلمسه بجناننا. وهم يُلّحون على ضرورة معايشة الكاتب لتجربته الّتي يريد تجسيدها فنيّاً، فها هو ذا الكاتب الروسي ميخائيل شولوخوف Mikhail Sholokhov يدعو زملاءه الكتّاب إلى الانخراط في حياة الريف ليجربوا العيش فيه إن أرادوا الكتابة عنه وتصوير حياة الفلاحين بصورة صادقة مؤثرة؛ لإنّهم لن يتمكّنوا من ذلك ما داموا قابعين في المدينة داخل بيوتهم أو مكاتب عملهم، ويُلّح أيضاً على أهميّة اندماجهم في حياة العمّال في

مصانعهم؛ ليشاركوهم عملهم من أجل اكتساب تجربة بشريّة من حياتهم لاتّخاذها موضوعاً لقصّة أو مسرحيّة؛ لأنّ المعاناة الذاتيّة هي الّتي تبعث في الأدب حرارة الحياة وقوّة الانفعال العاطفي. والجدير بالذكر أنّ شولوخوف نفسه قد قرن القول بالفعل، إذ هجر المدينة ليعيش في ريف الفولجا Volga الّذي صوّره في قصصه. وأكّد توفيق الحكيم ذلك عندما أيّد اتّخاذ الأديب تجاربه الشخصيّة مَعيناً يمتح منه أفكاره وموضوعات أدبه، ولم يكن الحكيم منظّراً فيما ذهب إليه، بل كان واقعيّاً، تماماً مثل ما كان شولوخوف، ففي مؤلّفاته ما استقاه من مَعين تجارب حياته الشخصيّة ذاتها، خاصّةً في مؤلّفاته القصصيّة مثل: "يوميّات نائب في الأرياف"، الّتي استلهم أفكارها أثناء عمله وكيلاً للنائب العّام في مراكز الريف[2].

إنّ أصل كلّ إبداع أدبي هو تجربة مارسها أو عايشها المؤلّف وصدر عنها، فالمعايشة الحقيقية أو الممارسة الفعلية كما يقول لاسيلس أبر كرومبي Abercrombie Lascelles هي إحدى أهم خصائص التجربة الشعرية[3]، فالمعاناة الحقيقية كفيلة بأن تضاعف من الاندماج في الحدث، وتعميق معايشته، وهو ما يعرف ب "الصدق الواقعي" ولكنّ هذا برأينا لا يتعارض مع كون الصدق الفنّي يمثل صدق الإحساس، فالمتنبّي صادقٌ فنيّاً حينما قال: "شرِقتُ بالدمع حتّى كاد يشرقُ بي"، وهو صدقٌ يندرج في حساب الوجدان ومنطق الشعور، وكذلك امرؤ القيس صادقٌ فنيّاً في منطق الخيال حينما يقول: "رجلاه في الركضِ رِجلٌ واليدان يَدُ"[4]. وهو ما عبّر عنه جرير بقوله: "ما عشقت قط، ولو عشقت لتغزلت غزلا تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها"[5]، فجرير لم يعشق، وكان من أعف الشعراء، ومع ذلك فغزله يعد من أرق الغزل في الشعر العربي على الإطلاق، بل ومن أكثره تأثيرا في النفوس، فيكفي أن يحس الشاعر إحساساً صادقا بحنين العاشق ولوعته حتّى تتأجج في داخله حُميّا الهوى. يقول أحمد أمين: "ويتصل بهذا شيء يحتاج الى اهتمام خاص وهو الإخلاص التام من الفرد لنفسه، والإخلاص التام منه لتجربته الخاصة في الحياة ولصدق الأشياء كما يراها هو لا كما يراها غيره، وقد كان أفلاطون plato أول من أعلن ذلك[6]. إنّ الناقد ليحتاج فيما يحتاجه إلى ضوابط أو معايير موضوعية من أبرزها الدراية بمنطق كل من الإحساس والخيال والعواطف؛ وإلّا تستوي في الجَودة كلّ الفنون متى استوت في الصدق، ثم لا قيمة بعد ذلك لتباين مستويات الإحساس بين الشعراء أو أهل الفن، وهو ما يتنافى مع منطق الأشياء[7].

عرار الشاعر الإنسان (سجايا شخصيّة):

إنّ صدق التجربة الشعريّة يتطلّب بالضرورة أن يكون الشاعر صاحب التجربة الشعريّة، سواءٌ أكانت في سياقها الفنّي أو الواقعي، شخصاً ملتزماً ذا شخصيّة منتمية ثابتة في سلوكه ومواقفه، بل في حياته عامّةً، وهكذا كان شاعرنا عرار، فقد ظهر هذا الثبات واضحاً جليّاً في شعره؛ فشعره مرآة تعكس تجارب حياته المتنوّعة، ولم يكن في مسلكه ما يخالف أو يتناقض مع ما قاله في شعره، ويمكن أن نقول إنّه كان استثنائيّاً بين الشعراء الّذين كان التباين ظاهرا بين أقوالهم وأفعالهم . يقول ناصر الدين الأسد: "نجد شعره صورة صادقة لنفسه لا زيف فيها ولا افتعال"[8]، وهو ما أكّده أيضاً عيسى الناعوري في قوله: "وشعر مصطفى وسلوكه الاجتماعي والشخصي مترابطان ترابطا عجيبا، مثل ترابط شعره وجغرافية بلده، وأرض بلده، وحشائش بلده ونباتاتها، وسكان بلده من بدو ومن حضر ونور"[9]. إنّ أوّل ما يسترعي انتباهك في شعره هو صدق قائله وعفويّته وبساطته. "وميزة الصدق هذه تنطبق على أكثر من ناحية في شخصيته: تنطبق على صدقه مع نفسه، كما تنطبق على صدقه مع غيره. وما من شك في أنّ توفر مثل هذا الصدق، خاصّة إذا كان ذلك ممّا يتعارض مع القيم المحيطة بالفرد، يتطلب من الجرأة الشيء الكثير، الّذي لا يتوفّر إلّا لدى قلّة قليلة من النّاس. ومصطفى وهبي التّل كان واحداً من هذه القلّة الّتي حافظت على صدقها مع نفسها وصدقها مع مجتمعها، منذ صباه وحتّى وفاته"[10]. ونحن إذا ما قارنا بين منطوق شعر عرار وأحوال حياته المختلفة وجدنا تطابقا ظاهرا بين شعره وهذه الأحوال جميعا. وشعره بمجمله يعكس هذا الصدق الفنّي الذي توّج معظم ما جادت به قريحته من شعر؛ وبغير إخلاص الشاعر أو الفنّان لتجربته لا يمكّنه من أن ينتج عملا أدبيا حياً، وقليلون هم الشعراء الّذين اتّخذوا من تفاصيل حياتهم الخاصّة، وحياتهم مع مجتمعهم مادّةً لشعرهم؛ يعيشون ما يكتبون ويكتبون ما يعيشون؛ فيصبح شعرهم سجلّاً لملامح وتفاصيل حياتهم بأدق دقائقها؛ وهكذا فإنّ عراراً امتلك ما سّماهُ العقّاد بالطبيعة الفنيّة[11]. تلك الطبيعة الّتي توحّد ما بين حياة الشاعر وشعره، وعرار أحد هؤلاء الشعراء الّذين كان لهم النصيب الوافر من هذه الطبيعة الفنيّة، فمن أراد أن يعرفه حق معرفته فليعكف على قراءة شعره؛ فشعره صورة لحياته، وحياته صورة لشعره، وبعبارة أخرى فإنّ شعره يأتي ترجمة صادقة لتفاصيل حياته دون أدنى حد من التكلف أو الافتعال[12].

وقد أوجز عرار حياته بالأبيات التالية الّتي ينعى فيها أمانيه الذابلة في قوله [13]:

وَحَيَاتي لاَ تَسَلْ عَنْ كُنْهِهَا إنّهَا حَـانٌ وَ ألْحَانٌ وَصَدْحُ
وَأمَانِي شَبَابٍ فَاتَهـــــا مِثْلَماَ فَاتَ بَني الأُرْدُنِّ نُجحُ
وَهي أحْيَاناً ظَــلاَمٌ دَامِسٌ لاَ أرَى أنّى لَهُ يطلعُ صُبْحُ

عرف عنه مذ شبّ عن الطوق، ولعه بطلب الحريّة والانعتاق من قيود التبعيّة والظلم؛ لذا نزع إلى أن يحيا حياته وفقاً للفلسفة الّتي يقنع بها ويرتضيها في الحياة، دون اكتراث بالنمط المألوف الّذي يحياه مجتمعه ويلزم أفراده بمعاييره وضوابطه، وقد كان عرار جسورا جسارة لا حدود لها ولا مزيد عليها، خاصة إذا عزم على أمر من الأمور [14]. ويمكن القول إنّ عراراً أثار معركته النقديّةً بشخصه أوّلاً وبشعره ثانياً، تماماً كما فعل أبو الطيّب المتنبّي من قبله.

كان عرار شاعرًا بوهيميًا يعشق حياة الانطلاق والتلهي بعيدًا عن الضوابط والقيود المتواضع عليها في مجتمعه، وكان يجد ذاته الحقيقية في حياة المرح واللهو، وقد يشكل هذا التطرف رد فعل لما حرمه في مجتمعه الذي حدّ من حريته الشخصية. ولقد كان يسوءُه كثيرًا أن يتدخل الناس في سلوكه الشخصي. وكان يتّسم بقدر وافر من الحساسيّة الشعريّة الّتي اتّضحت بجلاء في مسار تجربته الشعريّة الممتدّة [15].

يقول [16]:

ماذا عَلى الناسِ مـن سُكري وعَرْبَدَتي ماذا عَلى الناسِ من كُفري وإيماني
ماذا عَلى الناسِ مـن لَهْوي ومن عَبَثي ماذا عَلى الناسِ من جَهْلي وعِرْفاني
ماذا عَلى الناسِ مــن جَهْلي ومعرفتي ماذا عَلى الناسِ من رِبْحي وخُسراني
ماذا عَلى الناسِ من صَفْوي ومن كَدَري ماذا عَلى النــاسِ إنْ دَهري تحداني
ماذا علــى الناسِ مـــن فَقْري ومَتْرَ ماذا عَلى الناسِ من ضنّي وإحساني
ماذا عَلى الناسِ من حُبي مكحـــلـةً بينَ الخرابيشِ أهْواهـــا وتهواني

ولهذا هُرع إلى مجتمع النور باحثاً عن العزاء والسلوى، وقد لخّصت قصيدة "بين الخرابيش" مزايا مجتمعه الجديد الّذي التمس فيه العزاء عمّا وجده في مجتمعه من جَور وجُحود وتسلط، ففي مجتمع كمجتمعه لم يكن مقبولاً فيه أو مستساغاً مثل هذا النمط من الشخصيّة، فهو مجتمع لا مكان فيه لمن يلقي حجراً في الماء الراكد، محاولاً كسر المألوف أو تخطي الحواجز القائمة. وهكذا فقد خاض عرار معركته في هذا المجتمع الّذي نَفَرَ منه بشخصه وشعره معاً؛

فكان شعره شعراً صادقا يمثل ذاته تمثيلا صادقا، فلم يكن يعنيه أن يقال أخطأ أو أصاب، وإنما كان يهمه أن يصف ما في نفسه، وأن يترجم ما يمور في داخله. ونحن إذا ما عقدنا مقارنة بين منطوق شعر عرار وأحوال حياته المختلفة لوجدنا تطابقا بيّناً بين شعره وهذه الأحوال جميعاً. وشعره بمجملة يعكس الصدق الفني الذي توّج معظم ما جادت به قريحته من شعر.

وغنيّ عن القول إنّ عراراً يُمثّلُ شخصيّة استثنائيّة بكلّ ما تُفضي به الكلمة من معنى، سواء أكان ذلك على المستوى الشخصي أو المستوى النفسي، فمن ناحية التكوين الشخصي أو النفسي بالأحرى، يمثّل عرار شخصيّة غير اعتياديّة، تقع خارج نطاق المألوف، وأبعد ما تكون عن الرتابة الّتي ينشأ عليها الكثيرون فتطبع حياتهم بطابعها، وهي شخصيّة يعزّ نظيرها، خاصّة بحضور سماتها، أو على الأقل، أغلب هذه السمات مجتمعة، فهي غالباً تبعث على الحَيْرة والاندهاش في كثير من الأحيان، وتثير الكثير من علامات الاستفهام والتعجب، فهو مزيج من متناقضات تُكمّلُ، بل تسوّغُ بعضها بعضاً، لتبدو وكأنّها في سياق متجانس بصرف النظر عن وجه تناقضاتها الشكلي. وهو تناقض ظاهريّ لا في مظهره فقط، وإنّما في طبيعته أيضاً، ولا يتعارض، أو يخلّ بحال بما جُبل عليه من سجايا وخِلال، أوفي ثبات شخصيّته. ومعلوم أنّ الشاعر قد يخالف وقائع حياته ويخرج على واقع شخصيته وسمات طبعه ويتضارب في تجاربه، ثم هو بعدئذ لا يفارق الصدق ولا يخرج عليه [17]. ولعلّ هذا هو ما عناه قدامة في قوله: "وممّا يجب تقديمه أيضاً أنّ مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثمّ يذمّه بعد ذلك ذمّاً حسناً أيضاً غير منكر عليه، ولا معيب من فعله، إذا أحسن المدح والذم، بل ذلك عندي يدلّ على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها [18]. فلا دَخْل للصدق بالاعتقاد عنده، وليس من شأن الشاعر تقديم مَثَلٍ للصدق، وإنّما ما عليه هو أن يُجيد ما يقوله ويؤديه على وجهه الأمثل فنيّاً.

لقد تمكّنت من عرار سجايا أصيلة لا تُنكر عليه، فكان صادق السيرة، نقيّ السريرة، بارّاً بأصدقائه، وفيّاً لمواداته، متفانياً في إخلاصه، ولعلّ أدقّ وصف ينفذ إلى أغوار شخصيّة عرار هو وصف الملك عبد الله (الأمير آنذاك) لشخصيّته، وهو وصف يتغلغل فيه إلى باطن تكوينه النفسي؛ ممّا قد لا يقوى عليه إلّا من كان ظليعاً في بواطن النفس الإنسانيّة، أو مختصّاً بعوالمها، ويُظهر هذا الوصف أنّ عراراً احتلّ مكانة عزيزة في نفسه، ونال قدراً وافراً من احترامه ومحبّته، بل والذود عنه وحمايته.

يقول الأمير عبدالله (الأمير آنذاك) فيه: "إنّكَ يا (مصطفى) لمجموعة من متناقضات تعتزّبها في عيني: الصَخَب والشَغَب، والرضى بعد الغَضَب، خَصمُ الأقوياء، رفيقُ الضعفاء، كَريم في فاقة، نهّاب وهّاب، فقير في نفسك، غنيّ في صِحابك ... لا أدري عن عقيدتك، ولكنّك غيور على ملّتك، إقليمي مُفْرِط، عربيّ متشطّط، إذا مات خصمُك رثيتَه، وإذا احتبس عليك صاحبك ربّما هجوتَه، هذه صفات متناقضات، تكوّنت فيك واجتمعت، فإذا كانت ناحية منك تغضب فنواح كثيرة منك أخرى تُرضي، فأنت عُقدة العُقَد، تشبه الصوف الملتّف، فمنذا ينقيك ؟!" [19].

وبعد، فلعمري إنّه وصفٌ، بل أبعدُ من الوصف؛ إنّه تحليلٌ قد يحار في استنباطه أعتى علماء التحليل النفسي، وأدراهم ببواطن النفس البشريّة، فلقد غاص الملك بفطنته وحِدّة بصيرته على غور هذه الشخصيّة، مطوّفاً في أرجائها الرَحْبَة، مستكنهاً مغاليقها وأدقّ دقائقها. ولعلّه يكفينا القول إنّ كلّ متحدّث عن شخصيّة عرار لا بدّ من أن يتوقّف عند هذا الوصف أو التحليل إجلالاً، وأن ينحني له إعجاباً، ولن يجد في مُكْنَته، على الأغلب، ما يستطيع أن يضيفه إليه، فهو أقرب إلى أن يكون تحليلاً جامعاً مانعاً.

لم يكن مبعث انتماء عرار والتزامه بقضايا أمّته العاطفة فحسب، وإنما كان شاعراً تنويريّاً ذا فلسفة واضحة، على الرغم من أنه لم ينل الشهادات العلمية العالية، فقد كان مطالعًا نَهِمًا أو دودة كتب - كما يقال-، ازدحمت رفوف مكتبته بأمّات الكتب الصفراء والبيضاء، حينما كان شرق الأردن يفتقر لوجود الكتب والمجلات وحتى الصحف السيّارة، وكان متابعًا للكثير من القضايا الشاغلة في وقته، سياسيًّا واجتماعيًّا وأدبيًّا، من خلال صلات وثيقة أقامها مع الطبقات السياسيّة، وشخصيّات مؤثّرة في المحيط العربي، فقد كانت له مراسلات مع الشريف الحسين بن علي، والملك فيصل بن الحسين، والحاج أمين الحسيني، ومصطفى النحّاس، وبرنارد لويس Bernard Lewis، وعدد من الصحفيين والحزبيين في العالم العربي[20]؛ مما جعله يكوّن لنفسه ثقافة متنوعة مكنته من فهم الحياة وسبر أغوارها.

لقد كان عرار مطّلعًا على قوانين التطور الاجتماعي والنظريات الحديثة، وملمًا بنِتاج أعلام الفكر العربي، مثل المعري، وابن سينا، وابن رُشد، وابن خَلدون، والغزالي، وغيرهم، كما شهد بذلك صديقه البدوي الملثم [21]. ويبدو أن عرارًا كان على معرفة بالتركية والفارسية، إذ إن اللغة التركية كانت اللغة الرسمية آنذاك، وقد شهد على إجادته لها أصدقاؤه، وأوراقه التي تركها مثل ديوانه الذي أطلق عليه (زهور الغاب). وفي هذا الديوان يقول: "وعرّبت هذه الأبيات من قصيدة

كمال بك المشهورة... الخ". أمّا الفارسية فقد تعلمها إلى الدرجة التي مكنته من تذوق رباعيات الخيام ونقلها إلى العربية شعرًا ونثراً [22]. وعلى الرغم من تأثره بقُدامى الشعراء العرب وغيرهم من شعراء الفرس والتُرك، وما اطّلع عليه مترجماً من آدابٍ شتّى، إلّا أنّه كما يقول الشاعر أحمد الصافي النَجَفي طبع شعره بطابعه الخاص [23].

خصوصيّة شعر عرار وطاقة تأثيره:

ونحن حين نُسهِبُ في الحديث عن طبيعة هذه الشخصيّة الجدَليّة، فإنّما غايتنا أن نخوض في بعض التفاصيل، الّتي رُبّما تُلقي بظلالها على هذه الشخصيّة، وتُفضي إلى رؤيَة قد تجلو بعض ما اكتنفها من جَدَل في بعض نواحيها الاستثنائيّة، خاصّةً وأنّ عرار جديدٌ في شخصه كما في شعره، فالجِدّةُ في شخصه لا تتناقض البتّة مع ما أسلفنا؛ كونها تكمن في الفروع أو التفاصيل، وليس في الأُصول الّتي جلّاها الملك في حديثه السالف عنه. ونحن إذْ نتحدّث عن هذا الجديد في شخصه، فإنّما نقصد إلى هذه الفروع الّتي تنضوي تحت تلك الملامح الرئيسة الّتي سَبَرها الملك برهافة حِسّه وثاقب نظره. أمّا الجِدّة في شعره، فتتأتّى من كون شعره مَعيناً لا ينضب، ويعِدُ بالجديد في كلّ قراءة له، بل وكلّما تجدّدت قراءته، خاصّةً عند الناقد الحصيف، الّذي يُقبلُ على قراءة شعره بشغف العاشق وَوَلَه المُتيّم. ويضاف إلى ذلك سمات أخرى، أبرزها ما اتّسم به شعره من رشاقة وخفّة روح شكّلت مبعث تعلّق جمهوره بشعره وانتظارهم ما يصدر عنه بفارغ الصبر. يقول أحمد الصافي النجفي: "يجد المتمعّن في شعر الأستاذ "عرار" أو مصطفى وهبي التل روحاً خفيفاً وثّاباً وأسلوباً جذّاباً صادقاً، وخيالاً رقيقاً واهتماماً فائقاً بالمعنى وقلّة اكتراث باللفظ، مع الاحتفاظ بانتقاء ما هو صحيح من الكلمات الّتي تجعل لأسلوبه طابعاً خاصّاً، ولشعره مزايا خاصّة وتجعلني أعتقد أنّه جدير باسم الشاعر الحقيقي [24]. إنّ الشاعر الحقيقي هو الّذي لا يستأثر بإحساساته وانفعالاته، بل يدفع المتلقي إلى متابعته خطوة بخطوة، ويقاسمه الانفعال بتجربته الشعوريّة حتّى يصبح المتلقي في النهاية شريكاً فاعلاً فيها [25]. ولعلّ هذا ما كان يدفع جمهوره إلى التعلق بشعره وانتظار ما يصدر عنه بلهفة وشوق. وسببٌ آخر لهذا التعلّق هو ارتباط شعره بمحليّة الألفاظ بعفويتة وصدق تعبيره، فجاءت هذه الألفاظ الشعبيّة في شعره متناسقة ومنسجمة مع انفعالاته، وديوانه الشعري يفيض بمثل هذه الألفاظ الدارجة على ألسنة الناس؛ ممّا سهلّ لشعره الانتشار السريع، ولم يكن استخدام عرار لمثل هذه الألفاظ عن ضَعف أو قُصور لُغويّ، كما قد يتوهّم القارئ المتعجّل؛ وإنّما عن إصرارٍ وقناعة تامّة، فهو معنيٌّ في المقام

الأوّل بالاندغام في حياة الشعب لحاجتهم الملّحة لمثل هذا اللون من الشعر، وكان ينتشي ويشعر براحة متناهية حينما يُرسل مثل هذه الألفاظ. استمع إليه إذ يقول [26]:

ما بعــد "خُبيز" وادينــا وخُبزته وبضِّ "عكـوبنا" ميرٌ لمـتارِ

خدّاكِ يا بنتُ من "دحنونِ" ديرتِنا سبحانَه بارئ الأردنّ مــن باري

يقول محمود السمرة: "إنّ السر في قوّة تأثير شعر عرار في النفوس أنّه شعرٌ يعبّر عن تجربة محليّة وإنسانيّة معاً، تجربة عميقة، فيها قَدْرٌ طاغٍ من حدّة الإحساس...واللغة الّتي يستعملها عرار، رغم محليّتها ...ورغم بعض الأخطاء اللغويّة والعَروضيّة، حافلة بالحياة، تفتح عيوننا على عيوب في المجتمع، قد نمرّ بها دون أن نحس بها، وإذا أحسسنا بها، فقد يكون هذا إحساساً عابراً. ولكنّها في هذا الشعر دَفْقاتٌ قويّة، تنبّه العقل، والنفس، والأعصاب"[27]. ويضيف قائلاً: "وأنت في شعر عرار تدخل دائرة التأثير، وتبقى فيها إلى أن تصل إلى نهاية القصيدة"[28]. ولعمري، فإنّ غاية الشعر هي عرض التجربة الإنسانيّة عرضاً يرسّخ في نفوس المتلقين قِيَماً ومواقف خالدة. "وإذا كانت غاية العلم تفسير الوجود، فإنّ غاية الفن تقييم الوجود، وهذا ما فعله عرار في شعره"[29]. وقد قام شعر عرار على الوفاء الخالص الذي يزيد من مصداقية التجربة ويكسبها بعدا إنسانيا عميقا، ويتفق مع تلك العاطفة التي تمور في نفسه. وساهم هذا الثبات في شخصيّة عرار، في سلوكه ومواقفه، بل في حياته عامّةً، في جعله شاعراً ملتزماً بكلّ ما يحمله هذا المصطلح من دلالات وأبعاد. وكان للروح الشعريّة في شعر عرار أهميّة بالغة في تشكيل تجربته الفنيّة؛ فمن خلالها تظهر قدرة الشاعر على الإبداع والابتكار كونها تعد قوام هذه التجربة، ممّا يمكّن الشاعر من بث انفعالاته؛ ليحدث في المتلقّي التأثير ذاته الّذي يرزح تحت وطأته. [30]

ولعلّ أبرز صور هذا الالتزام التزام عرار بقضايا المستضعفين من أبناء وطنه، فكان مُجلّياً في دفاعه عن حقّهم، متفانياً في دحض الباطل ونُصرة قضاياهم؛ فكان عند حُسن ظنهم، نِعْم الموئل ونِعْم النصير، لم يُقِم وزنًا لمنصب أو وظيفة في سبيل إنصافهم. ويشهد على ذلك قول الأمير عبد الله فيه [31]:

يا (نَصيرَ الضِعافِ) من كلّ حيٍّ باركَ اللهُ فيكَ من (إنسان)

ولم يكن هناك شيء يحقق له الشعور بذاته أكثر من أن يقف إلى جانبهم، فكانت الوظيفة عنده وسيلة لإنصافهم. يقول [32]:

هذي الوظيفةُ إن كـانتْ وجائبُها وَقْفًا عليكـم، فعَنهـا اللهُ يُغنيني
إنّ الصعاليـكَ إخواني وإنَّ لهـم حقًا به لو شعـــرتم لَمْ تلوموني
فالعزلُ والنفيُ، حبًا بالقيـــامِ بِهِ أسمى بعيني من نَصْبي وتَعييـني
يا شرّ مَنْ مُنيتْ هذي البلادُ بهِم إيذاؤكم فقـراءَ النـاسِ يؤذيـني

وكان شعره شعراً صادقا يمثل ذاته تمثيلا صادقا، فلم يكن يُقيم وزناً لمقالة من يقول أخطأ أو أصاب، وإنما ما كان يهمه هو أن يصف لواعج نفسه، وأن يترجم ما يمور في داخلها. وقد استمد مقومات صدق تجربته الشعريّة من التزامه الراسخ بقضايا أمّته المصيرية، وإيمانه المطلق بالحرية والعدالة الاجتماعية، وانتمائه الكبير لوطنه وأمته، فقد كان يختزن في نفسه رغبةً عارمةً بالانعتاق والتحرر من الظلم والسيطرة الأجنبية، وهو شعور كان يشاركه فيه نفرٌ من المثقفين، بل وعامّة الشعب، وقد كان عرار شاعرًا متهيئًا بطبيعته للرفض والثورة، لما اكتنزته نفسه من بذور القلق والتمرد، وما كان يمور في أعماقه من رهافة حس، وشُبوب عاطفة، وفرط عصبية.

انتماؤه الوطني (المحلّي) والقومي:

شهد عرار منذ أن تفتحت عيناه على هذه الدنيا أحوال مجتمعه المتردية، وما كان يرزح تحته وطنه من وطأة الإهمال والفوضى، وتعسُف القائمين عليه إبّان الحكم العثماني، فكان يراقب كل ذلك بقلب دامٍ يعتصره الألم ويتملكه الأسى. ولم ينجل ذلك الليل الطويل الدامس إلا بليل أشد وأطول لم يدع في طريقه بقعة ضوء، فلقد بسطت إنجلترا سيطرتها على هذه البقعة من البلاد تحت ظل ما سُمي آنذاك بالانتداب، الذي ما كان إلا شكلًا من أشكال الاحتلال البغيض، فأمعنوا في البلاد ظلمًا وإرهاقًا. ولعلّ هذا ما جعله مهووساً بحبّ بلده الأردن بالإضافة إلى ما واجهه هو نفسه من ظلم وسجن وتعسّف؛ فكان في شعره يذوب حُرقة وأسى على ما آل إليه حال شعبه الّذي لا يملك من أمره شيئا. يقول[33]:

سِيمت بلادي ضروب الخَسف وانتهكت حظائري واستباح الذئبُ قُطعاني
وراض قومي على الإذعان رائضُهـــم على احتمال الأذى من كلّ إنسانِ

ويقول مخاطباً المعتمد البريطاني "كوكس" الّذي يمثل المستعمر المتجنّي على هذا الشعب[34]:

لا تحسب الجرح فيمن لا يضجّ أسى يا "كوكس"مندملاً فاضـيمُ نكاءُ
والحقّ لا بُدّ مـــن إشراق طَلعتـــه مهما استطالت على أهليه ظلماءُ
وقوّةُ الضعف إن جاشت مراجـلها تنمّرتْ نَعْجةٌ واستـــأسدت شاءُ

خرج عرار على الموضوعات والأغراض التقليديّة الّتي تضيع فيها شخصيّة الشاعر وأصالته، ونحا نحو الموضوعات الّتي تتصل بالحياة الشخصيّة والتجارب الفرديّة؛ مرتدّاً إلى ذاته يعبر عن آمالها التي هي آمال مجتمعه في التوق إلى الحرية والانعتاق من قيود المستعمر، فكان يمثل مجتمعًا كاملًا اندغمت همومه بهمومهم، وتوحدت أحلامه بأحلامهم، فوقف ثائرًا هادرًا في وجه كل من يسومهم الخسف.

وقد جسد عرار في شعره عشقه للحرية والتغني بها، وكان سلاحه الكلمة التي تُهيئ النفوس للوعي والثورة، ذلك الوعي الذي يحرر الإنسان ويرفع عن كاهله الظلم، وكان عرار على درجة عالية من الوعي في مجتمع كان نصيبه من الوعي محدودًا، وقد استمد روح ثورته من انتمائه الكبير لوطنه وأمته، والتزامه الراسخ بقضاياها المصيرية، إذ إنه كان يعي بكل وضوح دور الشاعر أو الأديب في مجتمعه.

ومن منطلق إيمانه المطلق بالحرية والعدالة الاجتماعية، كان رفضه لتسلط المجتمع على الفرد، ومهاجمة الاستغلال الاقتصادي، والتمرد على العادات والتقاليد الاجتماعية البالية التي تحد من حرية الفرد.

وكانت علاقته بمجتمعه علاقة فريدة من نوعها، فهو أول شاعر حمل لواء الشعر في شرق الأردن في النصف الأول من هذا القرن، وقد ظهر في وقت كان مجتمعه بأمس الحاجة إلى شاعر مثله يتحسس آلامه ويعبر عن آماله، ولعله كان أول شاعر أردني تبنّى قضية الشعب والوطن بأبعادها السياسية والاجتماعية والإنسانية فاندغمت همومه بهمومهم، وإن أجمل مواقفه تلك التي كان يحس فيها أنه يقف ممثلًا لمجتمع كامل. فشعر عرار تعبير أصيل عن تجربة فنان التحم في شعره (الأنا) الخاص بـ (النحن) العام، فكانت أمانيه يحجم أماني قومه، وكان له صوت خاص، ولشعره خصوصية ونَكهة تتجلى في كل قصيدة من قصائده. وإن المتتبع لشعره ليجده صورة صادقة تعبر عن نفسيته، وعن مجتمعه من حوله، حتى أنه بمُكْنة الباحث المدقق أن يؤرخ لكثير من الأحداث السياسية والاجتماعية في وقته من خلال شعره[35].

كان عرار يسعى إلى بَث روح الوعي من خلال التمرد على بعض مألوف التقاليد، ذلك الوعي الذي يكشف الغشاوة عن العيون ويهدي إلى طريق الخلاص، فليس البؤس هو الذي يحرك الشعوب وإنما الوعي به. وهو لم يتوقف عند هذا الحد، بل كان يعد من جملة الأحرار والوطنيين

المخلصين، وإلا فما تفسير نفيه وعزله من وظائفه، وسجنه مرات ومرات، حتى أن الغرفة رقم "21"في سجن "المحطة" كانت تحمل اسمه [36].

فها هو ذا يلخص حياته بقوله [37]:

فَمِنْ سِجنٍ إلى مَنْفى وَمِنْ مَنْفى إلى غُرْبَةْ
وَمِنْ كَرٍّ إلـــى فَرٍّ وَمِنْ بَلْوى إلى رَهْبَةْ
فبي من كُلِ مَعْرَكَةٍ أثرتُ عَجَاجَها نُدْبَةْ

ولم يدّخر وسيلة ممكنة في سبيل إيقاظ هذا الشعب من غفلته إلا واتّبعها، فهو يسخر من أولئك العاجزين الذين لا يتقنون غير التباكي وندب الوطن. يقول [38]:

أنا إن أصْمِتْ، فَصَمْتِي حسْبُهُ أنَّه صوتُ الأرقّاءِ الأبحُّ
أيُّها الباكي علـــى أوطانِه لا يردُّ الروحَ للميّتِ نَوْحُ
بارك الظُّلْمَ، وصـــفقْ للأذى فهما نصرٌ من اللهِ وفَتْحُ

وقد بلغ منه اليأس مبلغه حينما لم يجد إلّا الخِذلان ممّن كان يُعوّل عليهم ويدّخرهم لقابل الأيّام. يقول [39]:

و(أنا) الّذي جحد الأحبّةُ فضله وأعان أصدقهم على خِذلانه!

لم يحظ عرار من السعادة التي كان يؤمّلها إلّا بالنَزَر اليسير ممّا أمّل؛ ولذلك كان دائما يرى ذاته في شِقْوَة دائمة جَرّاءّ امتناعها عنه بإصرار وقسوة.

وبعد أن خابت أحلامه وأمانيه الوطنية، وعندما لم تجد صيحاته صَدىً في نفوس أبناء قومه، ووقعوا في الخطر الذي طالما خشيه وحذّر من الوقوع فيه قال بألم مرير [40]:

كَمْ صِحْتُ فيكُم، وكَمْ ناديتُ من أَلَمٍ فَلَم تُصيخوا لصَيْحاتي وأنّاتـــي
واللهِ ما غالكـــم، واجتثّ دوحتكم بين الشعوبِ، سوى حبِّ الزعامات

يقول في موضعٍ آخر [41]:

فليتقِ اللهَ بـــي شعبٌ محبتُهُ، كانتْ وما بَرِحَتْ، ديني وديداني
وليتقِ اللهَ بـــي شعبٌ وفيتُ لَهُ حقَّ الوفاءِ وبالنُكرانِ كـــافاني
على مَذابِحِ قولي: سوفَ أسعدُهُ ضحيتُ عُمري، فلم يَسْعَد وأشقاني

ويرثي ما آل إليه حال شعبه، مستذكراً تلك الأيّام الهانئة الرضيّة الّتي كان ينعُمُ بها هذا الشعب قبل أن تصبح أرضه مَرتعاً للفِرنجة يصولون فيها ويجولون، وقبل أن يُمعن العِلج في إرهاق البلاد وظلم العباد. يقول [42]:

سُقياً لعَـهـــدِك والحيا ةُ كما نؤمّلها رضيّة
وتِــلاعُ "وادي اليُتمِ"ضا حكــةٌ وتربته غنيّة
وسفـــوحُ "شيحانَ"الأغ نِّ بكلّ يانعةٍ سخيّةْ
أيامَ لـــم يكن للفِرَنجَةِ في ربوعِكِ أسبـقيّةْ
والعِلجُ ما انتصــبتْ لَهُ في كلّ موماةٍ بنيّةْ

ولم يقف عرار في انتمائه الوطني ومشاعره الوطنيّة عند حدود بلده الأردن فحسب، بل تجاوز هذا الإطار الضيّق إلى إطار أوسع مكاناً وأرحب عُنواناً، ليتفاعل مع قضايا أمّته العربيّة في نضالها ضد الطامعين والمتسلّطين، سواءٌ في حدودها القريبة أو البعيدة، وليشاركها أمالها وأمانيها، ومحذّراً إيّاها ممّا يتربّص بها من أخطار، وأسهم في الحركة الوطنيّة المناوئة للاستعمار البريطاني إسهاماً فاعلاً، كما شارك في حركة المعارضة بصورة لافتة، وكان في مرحلة من المراحل قُطباً سياسيّاً بارزاً، ولم يَفُتّ في عَضُده الطرد والنفي من مدرسة "عَنْبَر" في دمشق مرّاتٍ عديدة لتحريضه ومشاركته في المظاهرات الّتي كانت تطالب بتحقيق الأماني العربيّة، فنُفي إلى (المكتب السلطاني) في بيروت في المرّة الأولى، ثمّ إلى مدرسة تجهيز حلب في المرّة الثانية، ولم ينفك هو ونَفَر من زملائه عن الدعوة إلى التطوّع للقتال؛ وبعد أربعين يوماً من الإضراب أُضطُرّت إدارة المعارف إلى الإذعان لمطلبهم بفتح مدرسة التجهيز أمامهم للتدرب على السلاح[43].

وكانت فلسطين تعيش في وجدانه، ولا تفارق خاطره، خاصّةً بعدما أصبحت المؤامرات الّتي تُحاك ضدها وضد أهلها واضحة ولا تحتاج إلى دليل، وقد أحسّ بالخطر الكامن في وعد بلفور، فنبّه إلى تلك المخاطر المرتقبة، ولكن (لقد أسمعت لو ناديت حيّاً...) فقد كان ينفخ في رماد، فظلّ جمر شعوره الوطني متّقداً في صدره[44]. فها هو يحذّر ممّا يتهدّد فلسطين ومقدّساتها، قائلاً[45]:

لله قومي كيف عكّر صفــوهم طيشُ الشيـــوخ وخِفّة الشُبّانِ
وتسوّل المتزعّمين حقـــوقهم من زُمـــرة (الآذان والغِلمانِ)
وتظاهـــر المتصدّرين لبيعهم _لا عن تُقى_ بحمايـة الأديانِ
يـــاربّ إن "بلفور"أنفذ وعده كم مسلمٍ يبقــى وكم نصراني
وكيانُ مسجد قريتي من ذا الّذي يُبقي عليه إذا أزيـل كيـــاني
وكنيسة العـــذراءِ أين مكانُهـا يكونُ إنْ بَعَــث اليهود مكاني

ويقول أيضاً[46]:

يا أُمّةً بيدي ... زمامهـــا مـــــاذا وراءَ خنوعِنا لِزَنيمِ
غيرُ الدَّمارِ وغيرُ بَيعِ بلادنا لكنْ بلا ثمنٍ إلـــــى حايمِ

وحينما حلّت الكارثة وقبل العرب بالهدنة الأولى في حرب فلسطين، ضاق عرار صدراً بما آل إليه الحال، وأخذ يصف شقاء أمة العرب، ووجده الذي يكابده شوقاً إلى تلك البقاع العزيزة الّتي ضاعت نتيجة الغدر والخيانة؛ فَفَزِع إلى الملك عبد الله، ناشداً إيّاه العون لتدارك ما آل إليه الحال [47].

يقول [48]:

من كان يَحْسَب أنّ العرب يخدعهم من كنت تحسَبُهم للعُرب أخدانا
أبا طلالٍ وأنــت اليومَ رائدنا نغدو إليكَ إذا ما الـدهرُ عادانا
إنّا ضحايا لهـذا المَين مينهم من يوم حطينَ حتّى اليوم والآنا
هذي الربوعُ ليوم الفصل نــاظرةٌ فكُن لها يا رعـــاكَ الله عنوانا
أطلالُ (يافا) و(حيفا) أمس برقهما قد رفّ وهناً فأشجانا وأبـــكانا
ياابن النبي ألم عن أهل أنــدلسٍ تأتيك دارعةٌ تروي حكـــايانا

ولطالما كان يدعو إلى التآخي والوحدة بين العرب في شتّى بقاعهم، ونبذ الإقليميّة البغيضة الّتي لن تعود عليهم إلا بالخَيْبة والخُسران المبين، يقول [49]:

إنّي أرى سبب الفنـــاءِ وإنّما سببُ الفناءِ قطيعة الأرحام
فدعوا مقال القائليـــن جَهالةً هـذا "عراقيٌّ" وذاكَ "شآمي"
وتداركوا بأبـــي وأمي أنتم أرحامكـــم برواجح الأحلام
فبلادكم بلدي وبعضُ مُصابكم همّي وبعض همومكم آلامي

ولعلّ ذلك ينفي عن عرار ما أُلصق به من أنّه شاعرّ إقليمي وحسب، ولم يلتزم بواجبه الوطني والقومي تجاه وطنه العربي وقضاياه المصيريّة. وفي ذلك باعتقادي ظلم واضح وتجن لحق ب (عرار)، فلا ننكر أنّه شاعر هام بوطنه الأردن هُياماً منقطع النظير، وانتمى لأرضه وترابه انتماءً ملك عليه عقله وقلبه؛ وهو أمرٌ غير مُنكَرٍ عليه ولا مَعيبٍ من فعله، بل شرفٌ يحسب له، إلّا أنّ كلّ هذا الهُيام والانتماء لوطنه الصغير لم يشغله لحظة واحدة عن واجبه تُجاه وطنه الكبير وقضايا أمّته العربيّة. ولا يخلو تعلّق عرار بموطنه "الأردن" من الإحساس بالقطريّة أو التحلّق حول الذات، ولكنّ ليس الإقليميّة المُفرطة الّتي رُمي بها، وهو قد يكون معذورا مادام هذا التعلّق في إطار البحث عن الانتماء أو "الهُويّة" الّتي كانت على المِحك آنذاك، وعندما لم يفلح في الاهتداء

إلى الانتماء القومي الّذي كان منيته وأقصى غايته؛ إذ تعسّر عليه الخروج من بوتقة محيطه الشرق أردني، على الرغم من تصديه للإنجليز ووعد بلفور المشؤوم وكل من أسهم في ضياع فلسطين، حينها صبّ لهيب شوقه وزَخَم انتمائه وإيمانه بالوطن في إناء الأردن فقط[50].

إن من يُنعِم النظر في شعر عرار، وما انطوت عليه سيرة حياته من قصص إنسانية مثيرة [51] يلمس مدى اندغام هموم عرار بهموم مجتمعه، ولعل فيما كتبه في جريدة الكرمل ما يضيء غوره الإنساني البعيد، يقول من مقال تحت عنوان (اللهم)!: "اللهم ساعدني على أن أزرع الأمل في القلوب، وأضمّد الجراح، وأمسح الدموع، وأضيء شمعة في كل كوخ وفي كل بيت مظلم!... اللهم ساعدني على ألا أتخلى عن مظلوم وعلى ألا أخاف من ظالم... وإذا انتصر الظلم لا تتركني أعدو في موكب الهاربين وإذا انتصر الحق لا تتركني أسير في موكب الشامتين"[52].

إنّ أوّل ما يجبُنا في شخص عرار هو صدق عاطفته وبساطته وعفويّته، وخصيصة الصدق هذه تبرز في شخص عرار في أكثر من ناحية، وأبرزها صدقه مع ذاته، وبالضرورة صدقه مع غيره، علماً بأنّ هذا الصدق لم يكن أمره يسيراً على عرار في تلك الحِقبة من الزمن؛ حيث كان هذا الصدق يتعارض مع قيم المجتمع السائدة آنداك، وهذه المعارضة كانت تتّطلّب جرأةً متناهية، ومثل هذه الجرأة لا تتاح إلّا لفئة قليلة من النّاس، وقد كان عرار واحداً من هذه الفئة الّتي تشبّثت بهذا الصدق، فقد كان صادقاً مع نفسه ومع مجتمعه في كل مراحل حياته وحتّى وفاته. والمتأمل لشعر عرار "يجده صورة صادقة معبّرة عن نفسيّة الشاعر وعن المجتمع من حوله حاول فيه صاحبه أن يكون صريحا منتهى الصراحة"[53].

ثم ماذا بعد؟ أليس فيما قاله عرار الشاهد على فلسفة إنسانية خصبة، فلسفة خاصّة به استمدّ روحها من حياته الخصبة وتجاربه، وقد حملت بين جنباتها أصفى القيم وأنقى المعاني الإنسانية؟ لم يكن عرار مُنظِّرًا فيما سمعناه منه، بل كان يقرن القول بالفعل، وسيرة حياته خير تطبيق، وأصدق شاهد. ولم يكن عرار بالطبع فيلسوفاً بما تعنيه الكلمة من معنى، وإنّما كان ينزع منزعاً فلسفيّاً ارتضاه لنفسه وآمن به.

وإنّ أجمل اللحظات تلك الّتي كان يقف فيها ممثّلاً لمجتمعٍ كامل أثخنه الفقر والجوع والظلم، يجوع لجوعهم، ويَعرى لعُرْيهم، ويئن لأنينهم. يقول [54]:

يــا هَبْرُ بي فَقْر كفقرك لــلإباءِ وللحـميَّةْ
أَوَ مَا تراني قد شبعْـتُ على حساب الأكثَرِيَّةْ

وأكلتُ (بَسكوتًا) وهذا الشعبُ لا يجدُ (القَليَّةْ)
ولَبِستُ إذْ قومـي عُراةٌ غيرَ ما نَسَجَتْ يديّه

صورة "النَوَر"في تجربة عرار الشعريّة:

يقول جيراردي نرفال:"لكلّ فنّان وطن مثالي غالباً ما يكون بعيدا عن وطنه الأصلي، ترتاح إليه موهبته الفنيّة، إذ تجد فيه جوّاً مواتياً تطير إليه مسرعة منذ تحس أنّها حُرّة، وفيه تتفتّح أجمل زهورها"[55].

حلُم عرار ببيئة تسمو فيها روحه، وتتحقّق فيها ذاته، وتتنسّم فيها نفسه أنسام الحريّة، وتنعُم بما حُرمته في مجتمعه الحقيقي، فكانت هذه الهجرة النفسيّة إلى بيئة "النور"، فهاجر إليها نفسيّاً وواقعيّاً، حيث العدل والمساواة والتسامح والتعاون، وهي خِصالٌ عزّت في مجتمعه، وغدا مطلبها عسيرا. وكأني به في كلّ مرّة يُيَمِم فيها وجهه شَطر مضاربهم يرددُ مع الشنفرى قائلاً[56]:

أقيموا بَني أُمي حدود مطيّكُمُ فإنّي إلى قَومٍ سِواكم لأميَلُ

تطلّع عرار إلى مجتمع "النور" كمجتمع مثالي تحقّق فيه من القيم ما لم يتحقق في مجتمعه، فكأنّه وجد فيه "جمهورية أفلاطون" أو "المدينة الفاضلة" الّتي طالما حَلُم بها. ومن أبرز سمات هذه المدينة أنّها مدينة لا تعترف بالفوارق الطبقيّة ويعُمّها العدل والوئام وينتفي منها الظلم والخصام، فلا رياء ولا كَذب ولا تملّق، ولا تزاحم على كَنْز المال، ولا أوسمة رنّانة، ولا ألقاب طنّانة، يستتر خلفها النّاس [57].

إنّ شعر عرار في مجمله يقف شاهداً على هذا الالتزام بالصدق؛ ولعلّ قصيدة "بين الخرابيش "من بين أفضل النماذج الّتي تمثّل هذا الصدق "والقصيدة في إطارها العّام صراع بين القيم الذاتيّة للشاعر والقيم الجماعيّة للمجتمع الّذي عاش فيه. وهي تلخيص صادق وأمين لنظرة الشاعر لنفسه وفهمه لها. ولنظرته إلى المجتمع بعين كشّافة لما ساده من اعوجاج وزَيف وتصنُع أذهب نقاء الفِطرة وصفاءها. لقد فقد الطرفان، الشاعر والمجتمع، خيط التواصل بينهما، فالشاعر لم يجد في مجتمعه ما يجعله يتقبّل مُثُلَهُ وقيمه وفلسفته الخاصّة، والمجتمع بدوره لم ير الشاعر منتمياً إليه، مطيعاً لما استقر فيه من نُظُم وما ارتضاه لنفسه من تقاليد..." [58].

استمع إليه في هذه الأبيات حيث يقول [59]:

بَيْنَ الخَرَابيش لاَ عُمْري يَضيعُ سُدىً وَلا يَضيقُ الهُدى ذَرْعاً بأَطْواري
بَيْنَ الخَرَابيش لاَ عَبْـــدٌ وَلاَ أمَـةٌ وَلاَ أرقّاء فـــــي أَزْيَاءِ أحْرَار
وَلاَ جُنـَاةٌ ولاَ أَرْضٌ يُضَـــرّجُهَا دَمٌ زَكـــــيٌ، ولاَ أحّاذُ بالنّارِ
بَيْنَ الخَرَابيش لاَ حِـرْصٌ ولاَ طَمَعٌ ولاَ احْتِرَابٌ علــى فِلْسٍ وَدينَارِ
بَيْنَ الخَرَابيــش لاَ مَــالٌ ولاَ نَسَبٌ ولاَ احْتِرابٌ على حِـرصٍ وإيثارِ
بَيْنَ الخَرَابيش لاَ كَذِبٌ ولاَ مَلَـــقٌ ولاَ وُشَـــــاةٌ ولاَ رُوّادُ أخبَارِ
وَلاَ جَواَ سيسُ، أنْ سِرتُ، لاَحَقَنـي أوْغَادُهُم خِلْسَةً يَقْفونَ أثـــاَري

وهي أبيات معدودة من ضمن قصيدة طويلة تحاكي بمجملها التزام عرار الذاتي بالصدق الّذي عزّ في وقته وكان حريصا عليه كلّ الحرص، وما انفكّ شعره من أن يكون مرآةً تعكس هذا الحرص في كلّ مناسبة، فقد كان عرار ينفر من حياة الرتَابة المُملة التي كان يحياها مجتمعه من زيف ورياء، وكان تواقًا إلى حياة الفطرة، حيث النقاءُ والوفاءُ والحريّةُ والمساواة، ولطالما حلُم بمثل هذه البيئة الرَحْبَة الّتي يسمو فيها بروحه، ويحلّق في فضائها بخياله، باحثا عن متنفّسٍ يجلو به ما ران على قلبه، ولما عزّت هذه القيم في بيئته، وجدها عند أصدقائه "النور"، حيث المجتمع السمح المتصالح مع ذاته، العامر بالدفء والمحبّة، وفي تغنيه بها تبرز لديه النزعة الإنسانية المثالية التي تجسدت في مدينته الفاضلة التي كان ينشدها.

كان لعرار في أصدقائه "النور" أو "الصعاليك" مثلما كان يسميهم عُزوة وقبيل كما يقول عيسى الناعوري، وكان يأنس بهم ويأنسون به، وقد بادلوه حبّاً بحب وإخلاصاً بإخلاص، بل لم يتوقّف الأمر عليهم، فكلّ أردني فقير عدّه من إخوانه الصعاليك، فهو محاميهم المنافح عنهم وعن حقوقهم في وجه جماعة المستبدين والمرابين. وكان من وجائب الوظيفة الّتي يتقلّدها، في عُرفه، خدمة هؤلاء الصعاليك وتسيير حاجاتهم، وكان في مكنة أيُّ واحد منهم أن يمدّ يده في جيبه ليأخذ منها ما تناله يده دون استئذان [60].

ويتابع عرار تغنيه بمثالية مجتمع "النور"، ولمزه مجتمعه الذي يزدري مجتمع النور، دون أن يلتفت إلى ما فيه من عيوب تجعله أجدر بالانتقاص والازدراء. وكم كان يتمنى لو أن مجتمعه يستطيع التخلص من بهرج الحياة وزيف التقاليد البالية، والتفاخر بماضي الآباء والأجداد. يقول [61]:

فدعِ الرصــانةَ والرزانةَ والحِجا برؤوسِ عُبْدانِ الفُــلوسِ تنقرُ

وهلمَّ عندَ الضـــاربينَ بطَبلِهم للناس أمثلةَ الصــراحةِ نسمُرُ
الراقصينَ علـى حبالِ جدودهم رقصًا كرقصِ الأمسِ لا يتغيرُ
الثابتينَ علـــى مبادئ قومِهم الحافظينَ ذِمامَ مَنْ لا يخفــرُ
"نَوَرٌ" لئنْ كـــانوا فإنَّ وفاءَهم مما يحَارُ بأمـــرِهِ المتبصرُ
لا يكذبونَ ولا تبـــورُ فِعالُهم ولقلّما ظهروا بما لَمْ يُضمِـروا

لقد كانت هذه رؤية عرار الّتي اعتنقها فلسفةً ونهجاً في حياته، ولم تكن رؤيته الفلسفيّة هذه بالطبع تتّفق وذلك النهج الّذي ساد في مجتمعه؛ وهكذا كان الصدام بين هاتين الرؤيتين أو هاتين الفلسفتين، إن جاز التعبير، حتميّاً ولا خَيار فيه، وقد دخل عرار هذا الصدام بوعيٍ تّام وإصرار مطلق. وهو لم يجنح إلى الوحدة أو العُزلة التّامة كما يفعل كثير من الشعراء في مثل هذه الحال؛ فيعمدون إلى الانزواء عن مجتمعهم مكتفين بمراقبة ما يجري من بعيد بعين المتحسّر الّذي لا يقوى على شيء، بل اختار المواجهة بما امتلك من عزم وقوّة التحدّي غير آبهٍ بمصيره وبما قد يحلّ له. وهكذا فقد اختار قوماً غير قومه، وأهلون غير أهله، وجد عندهم مدينته الفاضلة، الّتي طالما حَلُمَ بها، في مجتمع "النَوَر" الّذي ظهرت سجاياه واضحةً جليّة في هذه القصيدة، وفي هذه الأبيات منها[62].

أمّا أولئك الّذين ناهضوا نزعته الفلسفيّة تلك، ووقفوا في وجه نهجه؛ فلم يفتّوا في عَضُده، ولم يحفل بحربهم الشعواء الّتي استهدفته، ونقدهم اللاذع له راضياً بلقب "شاعر النور"، وهو الّذي كان بمكنته أن يكون "شاعر القصر"، وأن يحيا حياةً هانئةً مترفة في كَنَف أرق الطبقات الاجتماعيّة في بلده، ولكنّه آثر أن يحيا حياةً حرّة شعارها الصدق في القول والفعل، على أن يحيا حياة زائفة مصطنعة قوامها النفاق والمُداهنة. يقول[63]:

النّاسُ قالوا، وهَبهم يا أخي غرقوا فيما يخوضون من شَتمٍ وإهجارِ
فمَا لأهوائِهم شأنٌ يزيدُ علـى شأن الأثافي بـين القِدْرِ والنَارِ
تُثاَبُ بالحَرقِ مِنْ حِمْلٍ يُجشّمها سَخَامُهُ سِحْنَةً سوداءَ كـــالنَارِ

ولم يَحفِل عرار بوظيفته الرسميّة الّتي كان لها وقارها وهيبتها، ولم يُعِر الاعتبارات الّتي كان النّاس يحرصون عليها ويحسبون لها كلّ حساب، غير آبهٍ بكلّ ما يقولونه. يقول[64]:

ماذا على النّاس من سُكري وعربـدتي ماذا على النّاس مـن كُفري وإيماني
ماذا على النّاس من لهوي ومـن عبثي ماذا على النّاس من جهلي وعرفاني
ماذا على النّاس من صَفوي ومن كَدَري ماذا على النّاس إن دهــري تحدّاني

ماذا على النّـــاس من حُبي مُكحّلَةً بين "الخرابيش" أهواهـــا وتهواني

ولا تغاضي عن حقيقة ارتياد عرار لمضارب النور طمعا في إرضاء هواه وكَلَفِه بحياة التلهّي والطرب، وقد أقرّ بنزعته تلك في أكثر من مناسبة. يقول[65]:

إنّي أخو طربٍ، أعيشُ لأنتَشِي علَّ الزمـان يدوخُ من نشواتي

ويقول[66]:

ما قيمة الدُنيـــا وزُخرفِها إذا كان قلبك جَلْمَداً صَخرا

كان عرار شاعرًا بوهيميًا بطبعه، صاحب مزاج خفيف وروح وثّابة مرحة، يحب الظَرَف والدُعابة، ويعشق حياة الانطلاق والتلهي بعيدًا عن الضوابط والقيود المتواضع عليها في مجتمعه، وكان يجد ذاته الحقيقية في حياة المرح واللهو، وقد يشكل هذا التطرف رد فعل لما حرمه في مجتمعه الذي حدّ من حريته الشخصية فوجد متنفّسه بالانغماس في مجونه وبوهيميّته جرّاء صلافة الواقع المرير الّذي ارتطم به. ولقد كان يسوءه كثيرًا أن يتدخل الناس في سلوكه الشخصي، وأن يوسعوه رمياً بسهام الاتّهام فيصرخ قائلاً[67]:

ماذا على النّاس من سُكري وعربدتي ماذا على النّاس من كفري وإيماني

ماذا على النّاس من حبي مُكحّـلَةً بين الخرابيش أهواهـــا وتهواني

ونحن لا نستطيع استبعاد جانب ذاتي من هروب عرار إلى هذا المجتمع، وهو إشباع بوهيميته وإرواء لذّاته الجسديّة، وقد نستشف ذلك من طبيعته البوهيميّة، وإدمانه الخمر، وارتياد مضارب النور، حيث الإباحيّة والليالي الحمراء، على الرغم من تأكيده على أنّه لم يقع في شَرَك مثل هذه اللّذات. يقول: "ولو أنّ غيري ذهب لعند(النور) لقامت عليه قيامة النّاس ولاعتبروه من فاسدي الأخلاق وذلك لأنّ ليس كلّ إنسان مثلي يترفّع عن الدنايا الأخلاقيّة ويكبح جِماح نفسه في بؤرات المفاسد فوجه رجولتي إنّما كان في كوني قد استطعت أن أكون نظيفا وشريفاً في بيئة قذرة"[68].

صورة المرأة في تجربة عرار الشعريّة:

يذكر ابن رشيق القيرواني عن بعضهم قوله: "من أراد أن يقول الشعر فليتَعشّق فإنّه يرق"[69]. وحينما سئل ذو الرمّة: (كيف تفعل إذا انقفل دونك الشعر؟ فقال: كيف ينقفل دوني وعندي مفاتحه! قيل له: وعنه سألتك. ما هو؟ قال: الخلوة بذكر الأحباب"[70].

وهكذا كان عرار طرّاد هوى، عاشقاً رقيقاً، مفتوناً بالجمال يتبعه أينما حلّ وارتحل، الحُسنُ في نَظره أصل كل خير ومصدر كلّ لّذّة، وكان صاحب تجربة صادقة، بل تجارب حقيقيّة في غزله بالمرأة، يجتذبه الجمال أيّاً كان مصدره، ويتغنّى به أينما وقعت عليه عيناه، وكان قلبه يرتجف لمرأى الحِسان ويطير في إثرهن، وهو الّذي يقول[71]:

إنّي أخو طربٍ، أعيشُ لأنتَشِي علَّ الزمان يدوخُ من نشواتي

وقد يتساءل سائل: كيف أُتيح لعرار مثل هذه التجارب الّتي يزخر بها شعره ضمن مدى بيئته المحافظة الّتي نشأ فيها وترعرع في مدينة إربد، تلك البيئة الّتي لا تسمح باختلاط المرأة مع الرجل إلّا في حدود ضيّقة جداً؟ وكانت المرأة في مثل هذه البيئة لا تستطيع غالبا الخروج حتّى لزيارة أقرب المقرّبين إليها، ممّا لا يتيح إقامة أيّة علاقة مع المرأة أو خوض تجارب معها؟ بل إنّ مثل هذه البيئة لا تلهم الشاعر بالغزل ولا الافتنان بالمرأة، إلّا أنّ واقع الحال يقول إنّه أُتيحت لعرار فرص كثيرة خارج بيئته مكّنته من مخالطة المرأة والافتنان بالنظر إلى جمالها، وكانت البداية عندما غادر إربد في مَيْعة صباه ميمّماً وجهه شطر دمشق ليلتحق بمدرسة "عنبر"، وهناك أُتيح له ما لم يكن متاحاً في بيئته، حيث البيئة مختلفة نوعاً ما، وتتيح للمرأة قَدْراً من الحريّة؛ فلا بُدّ أن تكون قد وقعت عيناه على حسناوات الشام، ومن بعدها فاتنات بيروت، عندما التحق بالمكتب السلطاني في بيروت بين عامي 1919و1920، وكانت لبنان قد سبقت محيطها من البلاد العربيّة في مجال الحريّات و الأخذ بنمط الحياة الغربيّة، وهناك كان يمتّع نظره برؤية الحِسان وهُنّ يخطُرن في شوارع بيروت من مختلف الجنسيّات، ثمّ لا يفوتنا مَعين الجمال الّذي فتن به في مضارب "النور"، حيث الكحلاوات اللّواتي بين خرابيشهن اكتحلت عيناه بالجمال الفطري الأصيل الّذي لم يفسده زيف الحضارة ولا بهرجة المدينة، ثمّ لا يمكن أن ننسى تلك الروافد الّتي غذّت معين تجاربه من خلال الوظائف الّتي شغلها في أنحاء بلاده من إربد شمالاً وحتّى العقبة جنوباً، فوقعت عيناه على ضروب شتّى من الجمال، جمال نساء وطنه، حتّى وإن كان ذلك في كثير من الحالات لا يجاوز حدّ المشاهدة، إلّا أنّ مجمل ذلك أغنى خياله وأخصب فكره بغزير الصور والانطباعات الّتي لهج بها لسانه في شعره[72]. وتجدر الإشارة إلى أنّه أقام في عمّان زمناً، وكان لا يغيب عنها طويلاً، وعمّان لم تكن كإربد أو غيرها من المدن الأخرى، حيث كانت ملتقىً لتجمع أصول عربيّة مختلفة من السكّان انصهروا جميعاً في بوتقة واحدة مع سكّانها الأصليين، فمنهم من كانوا من أصول شاميّة، أو فلسطينيّة، أو حجازيّة، أو غير ذلك، وأصول غير عربيّة مثل

الشركس والشيشان والأرمن، الّذين كان لهم أثر ملموس في تشكيل مدينة عمّان الحديثة وبعض نواحيها مثل بلدة ناعور ووادي السير.

وقد حظيت عمّان في هذه الآونة بنصيب من الحريّة بفضل هذا التمازج الثقافي والحضاري انعكس بالضرورة على حياة المرأة في المجتمع العمّاني الجديد، فافتتحت بعض المدارس الّتي تختص بتعليم الإناث، وبدأت المرأة بالخروج إلى الأسواق والظهور في بعض المناسبات الاجتماعيّة والتزاور مع الجيران والأقارب وغير ذلك.

وفي ظل هذه الظروف الجديدة أُتيح لشاعرنا أن يتعرف إلى المرأة عن قرب، ويمتّع ناظره بهذا الجمال على تنّوع أصوله ومنابته، ويغذي خياله بسحره ومفاتنه، بل ويهيم به هُياماً نبض به شعره كما نبض به قلبه، وكان حظ عرار من الموهبة والطبع الشعري حظّاً مكّنه من استلهام سحر هذا الجمال والتغنّي به، فليس كل شاعر وقع في غرام المرأة أجاد الغزل بها. أمّا عرار فقد كان شاعراً مطبوعاً على قول الشعر ذا موهبة فذّة، يحسن التعبير عن كلّ ما يعتلج في خاطره ويتجاوب مع أحاسيسه، سواءٌ أكان ذلك مشهداً من مشاهد الطبيعة الساحرة، أم حسناء هام بها وشغلت قلبه، أم عزيزاً اختطفه منه القدر.

لقد أحبّ عرار نساءً كثيرات ممن شغلن قلبه وامتلكن أحاسيسه، ولم يقف حبه على واحدة منهن بعينها، وقد توحي النظرة العجلى أنّ عراراً كان من أتباع المذهب الحسّي في الحب، وممّا قد يقوي هذا الاعتقاد تلك الليالي الحمراء الّتي كان يقضيها في مضارب النور بين كواعبهم وحسانهم، وهو ما كان يرميه بأسوأ الظنون، هو وكل من يرتادها، على الرغم من أنّه كان ينفي هذه الظنون في شعره ورسائله إلى ولده وصفي، فهو يقول في إحدى رسائله له: "ولأني كنت شريفاً لا أفكّر بزنا أو بأيّ سقوطٍ أخلاقي، لم يستطع أحد أن يعيب عليّ مسلكي ذلك، أو أن يُعيّرني بترددي على (مضارب النَوَر) بل كان النّاس يترقّبون قصائدي عن (النور) بلهفة وشوق ويتدارسونها ويحفظونها، ولو أنّ غيري ذهب لعند (النور) لقامت عليه قيامة النّاس ولاعتبروه من فاسدي الأخلاق، وذلك لأن ليس كلّ إنسان مثلي يترفّع عن الدنايا الأخلاقيّة ويكبح جماح نفسه في بؤرات المفاسد، فوجه رجولتي إنّما كان في كوني قد استطعت أن أكون نظيفاً وشريفاً في بيئة قذرة، وهذا لا يتسنّى لكلّ إنسان"[73]. ويقول أيضًا في موضع آخر: "وهذا ما جعلني لا أرد مضارب النور كبحّاثة منقّب إلّا لأصدر عنها كشاعر متشبّب، ففي موسيقاهم روعة باكية وعلى ألحانهم مسحة من كآبة ضاحكة، ولأعين نسائهم ومضة ساحرة"[74].

كان عرار صادقاً مع نفسه قبل أن يكون صادقاً مع الآخرين، فقد كان مجاهراً بكلّ ما يؤمن به وكلّ ما يفعله، لا يسعى إلى إخفاء شيء من سلوكه، ولا يحاول اصطناع سلوك يُغاير ما آمن به ودَرَجَ عليه، وكان يقابل ما اتّهمَ به من شذوذ وانحراف أحياناً بالهُزء والاستخفاف، وبالعتاب أحياناً أخرى [75]. ومن يتّعرّف على جانب الصدق في شخص عرار يُيْقن بأنّه كان صادقاً أيضاً في شعره كما في سلوكه، وهو ما تشهد به وتعزّزهُ تجربته الشعريّة في كلّ غرضٍ من الأغراض الشعريّة الّتي خاض فيها.

وعلى الرغم من كثرة هؤلاء النساء اللواتي هام بهن عرار إلّا أنّه كان صادقاً في عاطفته، مخلصاً في هُيامه بهن، ففي شعره لا نجد إلّا بضعة أبيات معدودة يصف فيها مفاتن المرأة وصفاً حسيّاً، وهو من بينها قوله [76]:

بالسلط غزلان كما قيل لي هضيمة الكشح حصان الخبا
ريّانة الأرداف ألحاظـــها سهم مـــن الإبداع قد صوبا

فهو يصرّح في أكثر من مناسبة أنّه عذريٌّ في مذهبه، فهو يخاطب من اتّهمه في حِسان النور قائلا [77]:

فليتّق الله من ظنّ الهُيام بهم غيّاً فما بالهوى العُذريّ من عارِ

وهو الّذي يقول مؤكّداً مذهبه في الهوى[78]:

ولله مني جانبٌ لا أُضَيّعهُ وللهو مني والصبابة جانبُ !

قول عرار معلّقاً: "قلت"الصبابة"ولم أقل"الخلاعة "لا لأحمل المستمعين على اعتباري من أولياء الله الصالحين، بل لأقرر الحقيقة فحسب، فأنا طرّاد هوى يفتنني الجمال أينما كان، فالحُسنُ بنظري هو مصدر كلّ خير، والخير عندي هو أصل كلّ لذّة..." [79]، فهو يدعو إلى الاستمتاع بكل ما هو جميل في الحياة، ولكنّه لا يرى أنّ هذه المتعة تستوجب الانغماس في الشهوات الحسيّة المغلّظة، وإنّما أراد أن تكون هذه المتعة بعيدةً عن الابتذال والإسفاف وبمنأىً عن الخلاعة والمجون دون تفريطٍ في جنب الله تعالى. فلم يقترن طلبه للّذّة بالإباحيّة والفجور، ولكن بانعتاق روحه وتأكيد ذاته المفعمة بقلق لا يهدأ ولا يتوادع مع من حوله؛ ولذا كان صارماً في رفضه، وقد كانت نزعته الفلسفيّة في الحب واللّذّة والحريّة تعبيراً عن إحساسٍ وجوديّ بالغ بالحياة، ومقتاً لمنغّصاتها الّتي أفرزتها مظالم المجتمع الطبقي حوله، وتعسف السلطة الحاكمة في بلده [80]. وقد وصف نزعته هذه بقوله: "... وقد فاتني أن أخبركم أني رجلٌ طَروب، وأني في حياتي الطَروبة أفلاطوني الطريقة، أبيقوري المذهب، خيّامي المشرب، ديوجيني المسلك، وأنّ لي فلسفةً

خاصّة هي مزيج من هذه المذاهب الفلسفيّة الأربعة الّتي أتيت على ذكر أصحابها، فأنا أكيّف حياتي وفقاً لمقتضيات هذه الفلسفة الّتي ابتدعتها لنفسي بنفسي، غير حاسب لأحد غير الله حسابا، وضارباً بكافّة الاعتبارات الّتي تواضع عليها الناس عُرض الحائط، ليقيني أنّ معظمهم يضمرون غير ما يظهرون، وأنّ لا صلة بين حقيقتهم الراهنة وبين ما عرفهم الناس عليه من أوضاع"[81].

ولم يقف عرار في حبّه وغزله على حسناوات النور، فقد كان يتنقّل ما بين كواعب النور إلى جميلات وادي اليابس فوادي السير؛ وهذا التنقل من فتاة إلى أخرى هو الّذي دفع إلى الاعتقاد بأنّه حسيٌّ في غزله، والواقع أنّ عراراً كان طرّاد جمال يتبعه أينما حلّ وارتحل، ويقع في غرام كلّ جميلة تقع عليها عيناه، ويعشقها عشقاً عُذرياً؛ فالجمال ركنٌ أساسي في عقيدته، وهو مصدر الخير إن لم يكن الخير كلّه، ولذلك هام بالمرأة أينما لحظها، في كلّ ناحية من نواحي وطنه، ويهيمُ بها أينما لَحَظَتها عيناه، في أحياء مادبا والكرك وماحص والفحيص أو في أرباض عجلون، وحتّى في خرابيش قوم سلمى "النَوَر"، فهي حياته وبلسم جراحاته، ولا يعني هذا بالطبع أنّ حبّه للمرأة اقتصر على نساء وطنه، ففلسفته في الحياة تعتمد الجمال مَعيناً لها، ولذلك فقد اجتذبه الجمال أيّاً كان وطنه، فكما هام بحسناوات بلاده، هام أيضاً بجميلات دمشق وفاتنات بيروت وسمراوات نيل مصر، فالجمال هو الجمال لا وطن له، ولذلك فإنّني لا أُقر بما يذهب إليه بعضهم. من أنّ عراراً قَصَرَ حبّه وهُيامَه على فتيات وطنه، وأنّه لم يكن ليسمح لقلبه بأن يخفق لغير حِسان بلاده، وكأنّ قلوب المحبين تأتمر بأمرهم وتنتهي بنهيهم، وهو ما لا يقبله عقل ولا يرتضيه منطق، وإنّ من يذهبون هذا المذهب يتمادون فيه، لدرجة أنّهم يربطون بينه وبين حبّ عرار لوطنه و مدى تعلّقه به، وكأنّ أمر حبّه لبلاده وتعلّقه بها مرهونٌ بهذه الإقليميّة في الحب الّتي تبعث، ليس فقط على الاستغراب والدَهشَة، وإنّما على التندُّر أيضاً[82]. يقول مخاطباً الأمير عبدالله (آنذاك)، مؤكّداً على أنّ الحُسنَ ليس له حدود ينتهي عندها[83]:

مولاي، إنّ الحُسنَ لا وطن له وحديث إخوانُ الصفاء شجونُ

وعرار مولعٌ بالجمال مفتونٌ به لدرجة أنّه لم يكن يحفل بالزمن، فمهما طال به العمر، سيبقى صبّاً يجيب داعي الهوى حتّى وإن جاوز الثمانين. يقول[84]:

دعاني وقد ولّى شبابي شبابها دعاني وهل يعصي الشباب مشيبُ
وإنّي ولو جُزتُ الثمانين حِجّةً لِداعي صبابات الهوى لمجيبُ

فقلبه وَلِهٌ مُعنّى لا يناظره في وَجْده وهُيامه قلبُ مُحب، وحياته مهما امتدّ به العمر مقرونة بنبضات قلبه، لأنّها ليست ذات معنى بغير الحب. ذلك الحب الّذي لا تؤثر فيه عوادي الزمن، حتّى وإن اشتعل رأسه شيبا. يقول[85]:

أوَ ما تراني والمشيبُ كما تراهُ بعارضَيّه
ما زلتُ خفّاقَ الفؤادِ ولم تزل نفسي طريّه
والقلبُ ما تنفكُّ تملأُ ساحه خَطَراتُ ميّه
دَنِفٌ تطاردهُ العجوزُ، ولا تُهادِنُهُ الصبيّة ويتمادى عرار في معتقده بشِرْعة الحب والغرام، حتّى ليحسب أنّ الموت لن يحول بينه وبين ذكرى من أحب، حتّى بعد أن يوارى ثرى رَمْسِه. يقول[86]:

ولسوف تبقى للصبابة في ثرى رمسي بقيّة
وهواي سوف يظلّ يهزأ بالقبور وبالمنيّـــة

هام عرار بحسناوات بلاده مخلّداً أسماءهنّ في شعره، ففي وادي السير تعلّق قلبه بالشركسيّة الشقراء، وفُتن هناك أيضاً بالظبية السمراء، الّتي ما فتئ يردد اسمها بعد أن أقام في عمّان، وكانت كلّ فاتنة سمراء تذكّره بها، يقول[87]:

ظبيّاتُ وادي السير هلْ نَفَرَت من سِربِكُنّ الظبيةُ السمرا
فهي الّتي خطّتْ أناملـها في سِفرِ حُبـي آيةً غرّا
وتلت عليّ من الهـوى سوراً رتلتُها مُتَرنّماً شعـــرا

وواضحٌ من تعلّق عرار بهذه السمراء الفاتنة أنّه كان متعلّقاً بها، صادقاً في حبّه لها، مخلصاً لذكراها، وقد كوته بنار حبّها، ففي غزله بها حرارة الوَجد ولَظى الهُيام.

وقد تيّمته أيضاً ظبيّات وادي السير، أي شقراوات الشركسيّات اللواتي دَغْدَغنَ قلبه بلونهنّ الذهبي الّذي ميّزهنّ من بين فتيات بلاده، وقد هام بأطيافهن حينما تعرّف على بعضهن، حينما كان حاكماً إداريّاً في بلدة "وادي السير". يقول[88]:

خليليّ ما انفكّ الفؤادُ المعذّبُ لتطراق طيف الشركسيّات يطربُ

وقد وقع عرار في غرام إحداهنّ، وهي الشركسيّة الحسناء "برفين"، وحينما جفته وامتزج جفاؤها له بما طبعه الزمن على محيّاه من آثار بعد أن آذن شبابه بانقضاء، ولامه بعد ذلك من لامه على تهيامه بها، هبّ صارخاً في وجوههم قائلاً[89]:

مالي وبرفين يـــا عشّاق برفينا "أضحى التنائي بديلاً من تدانينا"
وبدّل الشَيبُ أحلام الصِبا ورعاً "ونابَ عن طِيبِ لُقيانا تجافينا"

فلا أوانسُ وادي السَيـرِ تَذكُرُني ولا الكَواعبُ في أرباضِ عَجلونا
حالَ الشَبابُ الّـذي أبليْتُ جِدّتَهُ فيما يُمكّنني منهنّ تمكينـــا
قَدْ كُنتُ أحسَبُني أبقى أخا طَرَبٍ ولــو تجاوزتُ يا ابنَ الأخّ تسعينا
"ما كُلّ ما يتمنّى المرءُ يُدرِكُهُ" فارفق بقلبي فقـد أصبحتُ مِسْكينا

ولطالما كان عرار يستعيد ذكريات حبّه في كلّ من "وادي السير"و"وادي الشتا "، جامعاً بين الواديين في أشعاره. يقول [90]:

ليتَ الوقوفَ بوادي السيرِ إجباري وليْتَ جاركَ يا وادي الشتا جاري
لعلّني من رؤى وجْدي القديم بـه أرتادُ مَسّاً لجنيّـــاتِ أشعـاري

ويقول أيضاً[91]:

أُناشدكم وادي الشتا وظباءه وغزلان وادي السير وهو حبيب
بغير هوىً مُضنٍ وكأس مُدامةٍ ولحنِ شجيٍّ كيف كيف تطيبُ

فقد انطلق في عالم الخيال الذّي يعني له عالمه المثالي المنشود الّذي لا يحدّه زمان أو مكان، فها هو شات وبريّان الّذي كان يفتقد الحبيبة اتّخذ لنفسه، في خياله، فتاة يناجيها وتناجيه وكأنّها فتاة حقيقيّة [92].

صورة الطبيعة في تجربة عرار الشعريّة:

إنّ الهروب من الواقع المُمّض يتباين من شاعر إلى آخر على حسب تباين طبعه ومزاجه ومدى اصطدامه بالواقع الّذي يعايشه، إلّا أنّ معظم الشعراء الرومانسيين يميلون إلى الابتعاد عن المكان إلى الحُلُم؛ فيستسلمون إلى خيالهم ورؤاهم دون حساب في سبيل إيجاد بيئة خاصّة بهم ينظرون إليها على أنّها جنتهم الموعودة الّتي ينشُدونها. وهم يقدّسون الريف ويرون في الطبيعة مصدراً للإلهام الحقيقي؛ فاستطاعوا من خلال استكناه الطبيعة النفاذ إلى رؤى وعوالم مجهولة كانت تشكّلُ لغزاً محيّراً بالنسبة لهم [93].

وعرار كغيره من الشعراء الرومانسيين، أدّى ضيقه بواقعه إلى انكفائه على ذاته بين أحضان الطبيعة؛ حيث وجد فيها ما يعوّضه عن بشاعة الواقع الّذي كان يحياه، فأقبل على الطبيعة كمن يغمسُ روحه بروحها، معانقاً لها عناق الأحباب، واصفاً مشاعره وإحساساته نحوها أكثر مما يصف مناظرها الساحرة الخلّابة، كلّ ذلك ببساطة وعفويّة متناهية أبعد ما تكون عن الزيف

والافتعال والابتذال. ولاذ بالطبيعة يبثها أشجانه علّها تشاطره ما ألمّ به من ألم، وتفهم منه ما لم يستطع بنو قومه فهمه، وتدرك ما عجزوا عن إدراكه [94].

استمع إليه إذ يقول [95]:

يا أختَ "رم": كيـف "رمُّ"؟ (م) وكيفَ حالُ بني عطيّةْ
هلْ ما تزالُ هضـــابُهم شُمّاً وديرتُهـــم عَذيّـةْ
سُقيـاً لعهدِك والحيـــا ةُ كمـــا نؤمّلها رَضيـَة
وتــلاعُ "وادي الْيتمِ" ضا حكـــــةٌ وتُربتُهُ سَخيّة
وسفوحُ شيحـــانَ الأغَنّ بكُلّ يـــانعةٍ سَخيّـــة

وقد أكثر من مناجاته لطبيعة بلاده الّتي تفانى بحبها فتغنّى بكلّ سهل وجبل وواد، واتّسم شعره في وصف طبيعة بلاده بالصدق، كما هو في سائر شعره، فأرسل شعره من ذَوْب نفسه إرسالا سهلاً رَهْواً لا تعمّل فيه ولا تكلّف، وقد انثالت على لسانه ألفاظ وتعابير محليّة دارجة تساوقت مع بيانه العربيّ الفصيح بسلاسة وعذوبة وأصالة أضفت على شعره نوعا من الصنعة المحليّة لا يجد غير الأردني يُسرا في استيعابها أو تذوّقها. وإنّ تنوّع المكان، من سهول، وجبال، وهضاب، وأودية، وعيون، يحمل في طيّاته، تنوّعًا في الشعور، والإحساس النفسي. فالإحساس بالمكان_الوطن_ إحساس أصيل متجذر في الوجدان البشري؛ كونه يمثّل "حلقة الوصل المشيميّة برحم الأرض": الوطن، والأم، وذكريات الطفولة الوادعة. وقد أضناه حبّ بلاده، فهو لذلك مُضنى القلب موجعُهُ؛ فلا يفتأ يردد أسماء سهول بلاده وجبالها وأوديتها ترداد مُدنَف مولّه، فجِلعاد وراحوب ووادي الشتا وشيحان ووادي اليُتم وغيرها من بقاع بلاده بما فيها من سهول وجبال ومنابع المياه، كلّ ذلك كان يُشكّل بالنسبة له ما هو أبعد من القيم الجماليّة المألوفة لغيره، لقد شكّلت له قيماً جديدة تمثّلت في ذاته بالشموخ والعراقة والتجذّر في تراب الأرض والتوحد مع من يقيم عليها [96]. وقد تمادى في هذا الحب لدرجة تفضيل بلاده على أيّة بقعة في الكون، بل على الجنّة ذاتها. يقول [97]:

يقول "عبود" جنّاتُ النعيم علـــى أبوابهـــا حارسٌ يدعوه "رضوانا"
من ماءِ "راحوبَ" لم يشرب وليس له "ربعٌ "بجِلعادَ"أو حَيٌ "بشيحـــانا"
ولا تَفيّأَ فـــــي "عجلونَ" وارِفَةً ولا حدا بهضـاب "السلط "قُطعانا
إنْ كان يا شيـــخُ هذا شأنُ جنّتكم فابعـــد بها إنّها ليست بمرمانا
وقل معي بلسانى غيـــر ذي عِوَجٍ لا كنـــتِ يا جنّةَ الفردوسِ مأوانا

كان عرار بطبعه نزّاعاً نحو الطبيعة، فلطالما كان يهرع مع لحظات بزوغ الفجر نحو عين النقّاطة في "وادي الغفر"، ذلك الوادي الساحر ليحتضن الطبيعة الخلّابة ويصطاد الحجل. يقول [98]:

حبّذا وادي الغَفَرْ إذ به الرشُّ عَفَر
وتسامى فوقَهُ حَجَلٌ طارَ وفرّ

ولم يكن عرار يألف حياة المدن، فقد ضاق ذرعاً بها، والتمس العزاء والسلوى في الريف حيث الطبيعة، فسرعان ما كان يفر منها إلى الطبيعة البهيجة، فبعد أن أقام سنوات ثلاثا في دمشق ملّ من حياة الرتابة فيها واشتدّ به الحنين إلى حوران حيث الفلا والكلأ والشاء والمعيز، متمنياً أن يقضي بقيّة عمره في بيت من الشعر بين الأبرياء الّذين لا يعرفون النفاق والرياء [99].

يقول [100]:

أحنُّ إلـى بلادٍ عشت فيها وقد أصبحتُ عنها اليومَ نائي
فما مـثلُ الحياة بـأرض برٍّ بها أهلُ المروءة والـــوفاءِ
وأن أسـكن أُخي ببيت شَعرٍ بعرضِ القفرِ في وسط الخلاءِ
ومن حـولي أُناسٌ ذو قلوبٍ صفت وُدّاً إليّ بلا مـــــراءِ
لخَيرٌ من قصـورٍ شاهقاتٍ كحِصنٍ قد أّحيطت بالـــبناءِ
ينبهني الصباح صيـاحُ ديكٍ يسبّح ربّه قرب الخبـــــاءِ
ويُنسيني الهمومَ حـــداءُ راعٍ وماشيةٍ أتـــت لـورود ماءِ
إذا يا صاحِ جاءَ الموتُ يوماً لكي يمضي بـروحي للسمـاءِ
ب(حوران) اجعلوا قبري لعلّي أشمُّ أريجهـــا بعـد العناءِ

وعلى الرغم من التزام عرار المطلق، إلّا أنّه في الوقت ذاته كان شاعراً رومانسيّاً، مغرقاً في رومانسيّته. وهو كأيّ شاعرٍ رومانسي أُحبطت آماله ومساعيه هرب إلى حياة الريف والطبيعة يبثّها شجونه ولواعج نفسه. يقول محمود السمرة: "وإذا كان الرومانسيّون الغربيّون قد عبّروا بشعرٍ حافل بالعاطفة المشبوبة عن ثورتهم، وهربوا إلى الطبيعة والحياة البسيطة، عندما أدركوا عجزهم عن التغيير، فقد فعل عرار مثلهم: هرب إلى مضارب النَوَر، وإلى حياة الريف، حيث البساطة، وراحة البال، والمساواة التّامة"[101].

وشكّل تغنيه بسحر الطبيعة ومباهجها من حوله صوتاً رومانسيّاً لافتاً، فقد رأى فيها صورةً روحيّة حيّة في غموضها وسحرها، أبرزت ما اعتلج في نفسه من معاني الشوق والمحبّة والحنين؛ فظهرت ذاتيّته ورومانسيّته العذبة واضحةً جليّة تعكس ولَعَه بالطبيعة، وأهلها، ومضاربها الّتي يفزع إليها كلّما ادلهمّ خَطب وحاصرته الدنيا في شأنٍ من شؤونها، ليلوح في أُفقه شُعاعُ أمَلٍ يُبشّر بغدٍ أفضل وبالحريّة والطُمأنينة المنشودة[102].

الخاتمة:

توصّلنا في هذا البحث إلى أنّ شعر "عرار" صورةٌ صادقة لنفسه، وأنّ سلوكه الاجتماعي والشخصّي مترابطٌ ترابطًا لافتًا، وأنّه كان شاعرًا صادقًا مع نفسه كما مع غيره، فشعره مرآة تعكس تجارب حياته المتنوّعة، ولم يكن في مسلكه ما يخالف أو يتناقض مع ما قاله في شعره، ويمكن أن نقول إنّه كان استثنائيّاً بين الشعراء الّذين كان التباين ظاهرا بين أقوالهم وأفعالهم. وهكذا فإنّ عراراً امتلك ما سّماهُ العقّاد بالطبيعة الفنيّة. تلك الطبيعة الّتي توحّد ما بين حياة الشاعر وشعره، وعرار أحد هؤلاء الشعراء الّذين كان لهم النصيب الوافر من هذه الطبيعة الفنيّة، فمن أراد أن يعرفه حق معرفته فليعكف على قراءة شعره؛ فشعره صورة لحياته، وحياته صورة لشعره، وبعبارة أخرى فإنّ شعره يأتي ترجمة صادقة لتفاصيل حياته دون أدنى حد من التكلف أو الافتعال. وقد تطلّب صدقه هذا جرأةً متناهية لا تتوفر إلّا لقليل من النّاس، وهو واحد من هذه القلّة الّتي تمسّكت بصدقها مع نفسها وصدقها مع مجتمعها، منذ صباه وحتّى وفاته. وإذا ما وازنّا بين منطوق شعره وأحوال حياته المختلفة ألفينا تطابقا بيّنًا بين شعره وهذه الأحوال مجتمعة. وبعُجالة أقول إنّ شعره بمجمله يعكس هذا الصدق الفنّي الذي توّج معظم ما جادت به قريحته من شعر.

ولعلّ تفسير ذلك يكمن في أنّ الشاعر الحقيقي هو الّذي لا يستأثر بإحساساته وانفعالاته، بل يدفع المتلقي إلى متابعته خطوة بخطوة، ويقاسمه الانفعال بصدق تجربته الشعوريّة حتّى يصبح المتلقي في النهاية شريكاً فاعلاً فيها. ولعلّ هذا ما كان يدفع جمهور "عرار" إلى التعلق بشعره وانتظار ما يصدر عنه بلهفة وشوق.

وقد تأتت لي هذه النتائج من خلال تقصّي هذه الظاهرة في تجربة "عرار" الشعريّة، في بعض أغراض شعره الأساسيّة، مثل شعره القومي والوطني، وشعره في مجتمع "النَوَر"، الّذين وجد فيهم العِزوة والقَبيل، وما عزّ وجوده في مجتمعه. وشعره الغَزَلي الّذي يعكس تجربته مع الجمال، جمال "المرأة"، من ناحية، وجمال "الطبيعة"، طبيعة موطنه "الأردن" الّتي انكفأ على ذاته بين أحضانها، يغمس روحه بروحها.

وهكذا فإنّني أوصي بتقصّي هذا الاتّجاه في تجربة "عرار" الشعريّة في بعض أغراض شعره الأخرى، الّتي لم يتّسع لها المجال هنا؛ حتّى تكتمل صورة هذه الفكرة في إطارها الأشمل.

الهوامش:

(1) انظر محمّد شُعيب: **في النقد الأدبي**، القاهرة، ص47.

(2) انظر محمّد مندور: **الأدب وفنونه**، دار نهضة مصر، القاهرة، ص85،86.

(3) الأسيلس أبر كرومبي: **قواعد النقد الأدبي**، ترجمة محمّد عوض محمّد، ط2، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944، ص47 وما بعدها.

(4) انظر حلمي مرزوق: **تطوّر النقد والتفكير الأدبيّ الحديث**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص485.

(5) الأصفهاني، عليّ بن الحسين(356هـ/976م): **الأغاني**، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج8، ص42.

(6) انظر ماهر حسن فهمي: **المذاهب الادبية**، دار قطريّ بن الفجاءة للنشر والتوزيع، الدوحة-قطر، ص108،109.

(7) انظر حلمي مرزوق: **تطور النقد والتفكير الادبي الحديث**، ص484-485.

(8) ناصر الدين الأسد: **محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن**، معهد الدراسات العربيّة العالية،1960، ص117.

(9) **جريدة الرأي**، رقم العدد:3892، 1978.

(10) خالد سليمان: "قراءة في قصيدة "بين الخرابيش" لمصطفى وهبي التّل"، **مجلّة الأقلام**، السنة 23، العدد2، شباط،1988، ص56.

(11) **ابن الرومي حياته من شعره**، مؤسسة هنداوي،2014م، ص4-5.

(12) انظر أحمد أبو مطر: **عرار الشاعر اللامنتمي**، الكويت، 1977، ص216.

(13) مصطفى وهبي التّل"عرار": **عشيّات وادي اليابس**، جمع وتحقيق وتقديم زياد الزعبي، دائرة الثقافة والفنون، عمّان،1982، ص152-153.

(14) فائق مصطفى: "بين مصطفى وهبي التل وأحمد الصافي النجفي"، **مهرجان عرار الأوّل للإبداع**، 2-4 نيسان 1989م، ص2-4.

(15) موسى بريزات، "مصطفى وهبي التل بوهيمية بدوية ومعاناة سياسية واجتماعية"، **مجلة قضايا عربية**، العدد 11-12، السنة الثانية، مارس،1976، ص172؛ وانظر محمّد القواسمة: مصطفى وهبي التّل(عرار) الحساسيّة الشعريّة، **مجلّة أفكار**، عدد رقم 335(عدد خاص بالشاعر عرار)، كانون أوّل، 2016، عمّان، ص25.

(16) عرار: **عشيّات**، ص365-366.

(17) انظر حلمي مرزوق: **تطور النقد والتفكير الادبي الحديث**، ص484-485.

(18) الكاتب، قدامة بن جعفر(337هـ/948م): **نقد الشعر**، تحقيق أ.س. بونيباكر، مطبعة برلين، ليدن، ص6.

(19) البدوي الملثم (يعقوب العودات): **عرار شاعر الأردن**، دار القلم، بيروت،1980، ص195.

(20) البدوي الملثّم: **عرار شاعر الأردن**، ص39، 266؛ وانظر زياد الزعبي: عرار الوجه الآخر: ملاحظات على وثائقه وأوراقه، **مجلّة أفكار**، عمّان، ص11.

(21) البدوي الملثّم: **عرار شاعر الأردن**، ص39-40.

(22) البدوي الملثّم: **عرار شاعر الأردن**، ص39-40. وانظر كذلك أحمد أبو مطر: **عرار الشاعر اللامنتمي**، الإسكندرية، 1977، ص68-70، كمال الفحماوي: **الشاعر مصطفى وهبي التل**، ص31؛ يُسري سلامة: "مكانة عرار في الأدب الوطني الأردني"، **مهرجان عرار الأول للإبداع**، جامعة اليرموك/ إربد، 1989، ص18-19.

(23) فائق مصطفى: "بين مصطفى وهبي التل وأحمد الصافي النجفي"، **مهرجان عرار الأوّل للإبداع**، ص2.

(24) فائق مصطفى: "بين مصطفى وهبي التل وأحمد الصافي النجفي"، **مهرجان عرار الأوّل للإبداع**، ص2.

(25) انظر سيّد قطب: **النقد الادبي أصوله ومناهجه**، ط5، 1983م، ص54 وما بعدها.

(26) عرار: **عشيّات**، ص 233.

(27) محمود السمرة: **دراسات في الأدب والفكر**، ط1، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، عمّان، ص125.

(28) محمود السمرة: **دراسات في الأدب والفكر**: ص126.

(29) محمود السمرة: **دراسات في الأدب والفكر**: ص127.

(30) انظر محمود السمرة: **دراسات في الأدب والفكر**: ص127؛ وانظر علي قاسم الخرابشة: مفهوم الشعر والصورة الشعريّة عند مصطفى وهبي التّل"عرار"، **مجلّة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلميّة**، مجلد 29، عدد2، 2007م، ص163.

(31) البدوي الملثّم: **عرار شاعر الأردن**، ص75.

(32) عرار: **عشيّات**، ص349.

(33) عرار: **عشيّات**: ص361.

(34) **عرار: عشيّات:** ص92-93.

(35) انظر موسى بريزات، "مصطفى وهبي التل بوهيمية بدوية ومعاناة سياسية واجتماعية"، **مجلة قضايا عربية**، ص167-170.

(36) انظر عيسى الناعوري: "عرار أو مصطفى وهبي التل شاعر التمرد وصاحب النور والصعاليك"، **مجلة العربي**، 1960، عدد23، ص118؛ وانظر أيضًا البدوي الملثم: **عرار شاعر الأردن**، ص190.

(37) عرار: **عشيّات**، ص125-126.

(38) عرار: **عشيّات**: ص155-156.

(39) عرار: **عشيّات**، ص393.

(40) عرار: **عشيّات**، ص132.

(41) عرار: **عشيّات**: ص371.

(42) عرار: **عشيّات**: ص428-429.

(43) انظر البدوي الملثّم: **عرار شاعر الأردن**، ص26.

(44) انظر خليل إبراهيم نعمة: "من شعراء الأردن مصطفى وهبي التّل"، **مجلّة رسالة الأردن**، عدد14، آب 1960، عمّان، ص 18؛ وانظر عمر الكفاوين: قضيّة فلسطين في شعر عرار: **مجلّة أفكار**، ص37-43.

(45) عرار: **عشيّات**، ص347.

(46) عرار: **عشيّات**، ص307.

(47) انظر خليل إبراهيم نعمة: "من شعراء الأردن مصطفى وهبي التّل"، **مجلّة رسالة الأردن**، ص18-19.

(48) عرار: **عشيّات**، ص340.

(49) عرار: **عشيّات**: ص314.

(50) انظر موسى بريزات: "مصطفى وهبي التّل بوهيميّة بدويّة ومعاناة سياسيّة واجتماعيّة"، **مجلة قضايا عربية**، ص174.

(51) البدوي الملثم: **عرار شاعر الأردن**، ص74،190-203.

(52) البدوي الملثم: **عرار شاعر الأردن**: ص68.

(53) كمال الفحماوي: **الشاعر مصطفى وهبي التّل حياته وشعره**، ص65.

(54) عرار: **عشيّات**، ص426.

(55) Baldensperger,F,**lalitterature,creation,**Succes,duree: p164.

(56) الشنفري: **لاميّة العرب**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،1980، ص40.

(57) انظر خالد سليمان: "قراءة في قصيدة "بين الخرابيش" لمصطفى وهبي التّل"، **مجلّة الأقلام**، ص60؛ وانظر هيا صالح: علاقة عرار بمجتمع النَوَر الانحياز لمجتمع الهامش، **مجلّة أفكار**، ص30-36.

(58) انظر خالد سليمان: "قراءة في قصيدة "بين الخرابيش" لمصطفى وهبي التّل"، **مجلّة الأقلام**: ص56-57.

(59) عرار: **عشيّات**، ص226 وما بعدها.

(60) انظر عيسى الناعوري: "شاعر من الأردن: عرار أو مصطفى وهبي التّل"، **مجلّة العربي**، ص119-120.

(61) عرار: **عشيّات**، ص197-198.

(62) انظر خالد سليمان قراءة في قصيدة" بين الخرابيش"، **مجلّة الأقلام**، ص59-60؛ وانظر أيضا إبراهيم خليل: شعريّة التجربة لا شعريّة الذاكرة، ضمن كتابه: **" الصوت المنفرد من النّص إلى المتلقّي ومن المتلقّي إلى النّص"**، أمواج للطباعة والنشر، عمّان، 2011، ص115-118.

(63) انظر عرار: **عشيّات**، ص227.

(64) عرار: عشيات، 365-366.

(65) انظر عرار: **عشيّات**، ص129.

(66) انظر عرار: **عشيّات**، ص207.

(67) انظر عرار: **عشيّات**، ص365-366. وانظر موسى بريزات: "مصطفى وهبي التل بوهيمية بدوية ومعاناة سياسية واجتماعية"، **مجلة قضايا عربية**، ص173.

(68) البدوي الملثّم: **عرار شاعر الأردن**، ص119.

(69) ابن رشيق، أبو عليّ الحسن/456هـ: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق محمّد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، 1988، ج1/ص381.

(70) ابن رشيق: **العمدة**: ج1/ص374.

(71) عرار: **عشيّات**، ص129.

(72) انظر أحمد أبو مطر: **عرار الشاعر اللامنتمي**، ص170-172.

(73) البدوي الملثّم: **عرار شاعر الأردن**، ص119.

(74) البدوي الملثّم: **عرار شاعر الأردن**: ص130.

(75) انظر كمال الفحماوي: **الشاعر مصطفى وهبي التّل حياته وشعره**، ص36.

(76) عرار: **عشيّات**، ص109.

(77) عرار: **عشيّات**، ص223.

(78) **عرار شاعر الأردن**، 95.

(79) البدوي الملثّم: **عرار شاعر الأردن**، ص130.

(80) انظر كمال الفحماوي: **الشاعر مصطفى وهبي التّل حياته وشعره**، ص35،33.

(81) البدوي الملثّم: **عرار شاعر الأردن**، ص129.

(82) انظر أحمد أبو مطر: **عرار الشاعر اللامنتمي**، ص181، 172 وما بعدها.

(83) البدوي الملثّم: **عرار شاعر الأردن**: ص97.

(84) عرار: **عشيّات**: ص99.

(85) عرار: **عشيّات**: ص427.

(86) عرار: **عشيّات**: ص428.

(87) عرار: **عشيّات**: ص207.

(88) عرار: **عشيّات**: ص95.

(89) عرار: **عشيّات**: ص506.

(90) البدوي الملثّم: **عرار شاعر الأردن**: ص185.

(91) عرار: **عشيّات**: ص98-99.

(92) انظر فايز ترحيني: **الدراما ومذاهب الادب**، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1988م، ص108 وما بعدها، 179-180.

(93) انظر إميل معلوف: "الرومانتيكية في شعر صلاح لبكي،" **مجلّة شعر**"،9،1959: ص118-119.

(94) انظر كمال الفحماوي: **الشاعر مصطفى وهبي التّل. حياته وشعره**، ص89؛ وانظر محمّد القواسمة: مصطفى وهبي التّل(عرار) الحساسيّة الشعريّة، مجلّة أفكار، ص28.

(95) عرار: **عشيات**، ص428-429.

(96) انظر كمال الفحماوي: **الشاعر مصطفى وهبي التّل. حياته وشعره**، ص77؛ وانظر إبراهيم خليل: شعريّة التجربة لا شعريّة الذاكرة، ضمن كتابه:" **الصوت المنفرد من النّص إلى المتلقّي ومن المتلقّي إلى النّص**"، 2011م، ص113؛ تركي المغيض: جماليّات المكان في شعر عرار، **مجلّة مؤتة للبحوث والدراسات**، مجلد4، عدد2، كانون أوّل، 1989، ص190.

(97) عرار: **عشيّات**: ص337-338.

(98) عرار: **عشيّات**: ص544.

(99) انظر فايز ترحيني: **الدراما ومذاهب الأدب**، ص180وما بعدها.

(100) عرار: **عشيات**، ص531.

(101) محمود السمرة: **دراسات في الفكروالأدب**، ص127.

(102) محمود السمرة: دراسات في الفكر والأدب، ص127، وانظر محمّد غُنيمي هلال: الرومانتيكيّة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة،1971، ص132-133.